مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٧)

تجديد الخطاب العقدى فى العصر الحديث

إعداد

د/ محمد أحمد بخيت عبد ربه

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين - جامعة القاهرة

السنة ٢٥ العدد (٩٨) يوليو ٢٠١٤م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجديد الخطاب العقدي في العصر الحديث

د/ محمد أحمد بخيت عبد ربه
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين- بالقاهرة

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تجديد الخطاب العقدي في العصر الحديث ليناسب مستجدات هذا العصر، وإذا كان البعض يتكلم عن تجديد الخطاب الديني بشكل عام؛ فإن العقيدة الإسلامية أحوج ما تكون لهذا التجديد وأعني بالتجديد الرجوع بالخطاب العقدي إلى سابق عهده نصاً صحيحاً، وفهماً سليماً، والتزاماً واعياً، ودعوةً حكيمةً، لتكون الأُمَّة أقرب إلى مراد الله تعالى منها، وأكثرها شبهاً بالنموذج الأمثل، نموذج الرعيل الأول، فهذه العقيدة كانت . ولا تزال . هدف الأعداء بالتشويه والتشكيك والمحاصرة وذلك لإقصائها عن موقع الصدارة والقيادة والتفعيل في جسد الأُمَّة الكبير، كما كانت . أيضاً . فريسة لعبث بعض الأولياء حيث علق بها كثير من المفاهيم الخاطئة والتفسيرات الغريبة على طبيعتها، والمخالفة لفطرتها، وذلك في سبيل الدفاع عنها، والذود عن حياضها، لكن بلغة الخصوم وأساليبهم؛ حتى أضحت مسخاً شائهاً، لا تعدو أنْ تكون خليطاً مِنْ ألغازٍ فلسفيةٍ وتمحُّلات كلامية، وإشارات ذوقية، لا يقوى على حلها وفكها إلاَّ الخواص، أو خواصهم؛ فذهبت عن عقيدة الإيمان سهولتها وفطريتها التي تميَّزت بها حينما نزل بها القرآن، وأقلَّ ما في هذا الأسلوب . إنْ سلم من الانحراف العقدي . اتصافه بالعبارة الجَّافة، والطريقة الوعرة، مع ضعف البرهان، وإتعاب الأذهان، وفي المقابل نجد بعض المدارس السلفية تعرض العقيدة عرضاً بعيداً . في كثير من الأحيان . عن حاجة النَّاس الحقيقية، يحدِّثونهم عن أشياء لا تبلغها عقولهم، ولا تمس واقعهم؛ لذلك فنحن في حاجةٍ ملحَّةٍ إلى تجديد لغة الخطاب العقدي في عصرنا؛ سواء لأجل مخاطبة المسلمين لتأسيس وتمتين عقيدتهم، أو مخاطبة غيرهم لدعوتهم إلى الإسلام، أو رد شبهاتهم وطعونهم التي يثيرونها، والذود عن الإسلام وأهله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام علي الرحمة المهداة ، إمام الحق والهدى سيدنا محمد، تركنا علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها ،لا يزيغ عنها إلا هالك ... أما بعد :

فإذا كان من معاني التجديد في الفكر الإسلامي الرجوع بالدِّين إلى سابق عهده نصاً صحيحاً، وفهماً سليماً، والتزاماً واعياً، ودعوةً حكيمةً، لتكون الأمّة أقرب إلى مراد الله تعالى منها، وأكثرها شبهاً بالنموذج الأمثل، نموذج الرعيل الأول، فإنَّ العقيدة الإسلامية أحوج ما تكون لهذا التجديد بهذا الاعتبار، كيف لا؟! وهي أساس البناء، وقاعدته الصلبة، وروحه السارية فيه، وأعمق خصائصه المميزة له.

فهذه العقيدة كانت . ولا تزال . هدف الأعداء بالتشويه والتشكيك والمحاصرة وذلك لإقصائها عن موقع الصدارة والقيادة والتفعيل في جسد الأُمَّة الكبير، كما كانت . أيضاً . فريسة لعبث بعض الأولياء حيث علق بها كثير من المفاهيم الخاطئة والتفسيرات الغريبة على طبيعتها، والمخالفة لفطرتها، وذلك في سبيل الدفاع عنها، والذود عن حياضها، لكن بلغة الخصوم وأساليبهم؛ حتى أضحت مسخاً شائهاً، لا تعدو أنْ تكون خليطاً مِنْ ألغازٍ فلسفيةٍ وتمحُّلات كلامية، وإشارات ذوقية، لا يقوى على حلها وفكها إلاَّ الخواص، أو خواصهم؛ فذهبت عن عقيدة الإيمان سهولتها وفطريتها التي تميَّزت بها حينما نزل بها القرآن، وحينما كانت تناسب جميع العقول والأفهام ؛ الحاضر منهم والبادي، الكبير والصغير، المتعلِّم والعامِّي... وغير هؤلاء، وذهب عنها دورها الريادي والمراقِب للضَّمائر والمحرِّك للجوارح كما عاشها الرعيل الأول.

لقد أضحى مقرر التوحيد والعقيدة في كثير من الأوساط العلمية أكثر صعوبةً وتعقيداً مِنْ مقررات الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، فهو مقرر رسوب لا نجاح، فالعقيدة في حس الكثيرين تعني التعقيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أضف إلى ذلك: أنَّ العقيدة ما عادت تبعث . في كثير من الأحيان . على الاطمئنان القلبي، والاستقرار الفكري، والتفاعُل السُّلوكي، بل على الشك والتردُّد الذي عاناه كثير من الفلاسفة والمتكلِّمين قديماً، وسجلوا اعترافاتهم بذلك، فمادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش لا يكاد ينتهي، وافتراضات لا يكاد يتصوَّرها عقل، ثم أجوبة واعتراضات، وأجوبة تلك الاعتراضات، واعتراضات تلك الأجوبة وأجوبتها، وهكذا إلى ما لا نهاية.

وأقلُّ ما في هذا الأسلوب . إنْ سلم من الانحراف العقدي . اتصافه بالعبارة الجَّافة، والطريقة الوعرة، مع ضعف البرهان، وإتعاب الأذهان، وتضييع الأزمان، ومخاطبة العقل دون العاطفة وإمتاع الفكر دون الوجدان، وهو مخالف للأسلوب القرآني الذي تربَّى عليه الجيل الأول، فأصلحوا به العباد وفتحوا به البلاد.

نعم قد يُقال إنَّ بعض الأُسلوب الكلامي والفلسفي كان هو الأصلح . في فترة مضت . وذلك في مناظرة أصحاب الديانات المنحرفة، والفلسفات القديمة، لأنَّهم كانوا يقررون ما عندهم بهذا النَّمط من الكلام، فاضطر المسلمون إلى منازلتهم، واستخدام لغتهم في الحوار إذ كان ذلك أفتك فيهم وأقطع لحجتهم، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك مبرراً لاستصحاب اللُّغة نفسها والطريقة ذاتها في الجدال لعرض عقيدة الإيمان لأجيالنا المعاصرة؛ مسلمين وكافرين، لأنَّ لكلِ عصرٍ لغته وأساليبه واهتماماته.

علماً بأنَّ أكثر أساليب المتكلِّمين لا تسلم من القوادح بسبب ما تحمله من اللَّوازم الباطلة، والنتائج الفاسدة على ما ستأتي الإشارة إلى بعضه.

وفي المقابل نجد بعض المؤسسات التي تنتسب إلى السلفية تعرض العقيدة عرضاً بعيداً . في كثير من الأحيان . عن حاجة النَّاس الحقيقية، يحدِّثونهم عن أشياء لا تبلغها عقولهم، ولا تمس واقعهم، ولا تنالها اهتماماتهم، ويُروِّجون لكتب الأئمة الكبار وغالبها صُنِّفَ في الردِّ على مخالفيهم من أهل البدع والكلام والفلسفة، وفي بعضها استعمال لمصطلحات الخصوم . وهو أمرٌ جائز . مراعاةً للغة العصر الذي يعيشونه ومواجهةً لأساليبه.

لكن قد تكون القضايا التي أجابوا عنها، وناقشوها، وفرَّغوا لها أوقاتهم ليست محل اهتمام أجيالنا المعاصرة، أو ليست محل خلاف بينهم، أو على أقل تقدير لا تقع على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة أولوياتهم، فيكون اجترارها مرةً أخرى من دواعي بعثها وتحريك الصدور بها، وفتح جبهات معارك كلامية قد كُفينا شرَّها بغيرنا، ويكفينا ما نحن فيه من التحديات المعاصرة، التي تُمثِّلها الفلسفة المادِّية الإلحادية، والمذاهب العلمانية، إلى جانب الأعداء التقليديين من اليهود والنصارى، الذين يلبسون لكل عصر لَبُوسَه؛ من صهيونية وماسونية واستشراق وتنصير وتغريب، ثم غير هؤلاء من أصحاب الديانات الوضعية، والاتجاهات المذهبية الغربية الحديثة.

وهذا لا يعني إهمال المخالفات الشرعية المنتشرة في بعض البلدان؛ كمظاهر الشرك والابتداع العقدي والسلوكي، لكن لا ينبغي إخراجها عن خصوصية الزمان والمكان، بل الواجب إعطاؤها ما يناسبها من الجهد والوقت؛ كل حالة بحسبها زماناً ومكاناً وجهداً.

فنحن بحاجةٍ ملحَّةٍ إلى تجديد لغة الخطاب العقدي في عصرنا؛ سواء لأجل مخاطبة المسلمين لتأسيس وتمتين عقيدتهم، أو مخاطبة غيرهم لدعوتهم إلى الإسلام، أو رد شبهاتهم وطعونهم التي يثيرونها، والذود عن الإسلام وأهله.

فأرجو لهذا البحث أنْ يكون مشاركاً في إثارة هذه القضية، وتحديد مشكلاتها، ومحاولةً في اقتراح بعض الحلول لها.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وسلم تسليماً كثيراً،،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

مفهوم التجديد ومشروعيته

المبحث الأول: تعريف التجديد

التجديد لغة: تصيير الشيء جديدا، وجدّ الشيء، أي صار جديدا([1]) وهو خلاف القديم، وجدّد فلان الأمر وأجدّه واستجده إذا أحدثه.([2])

فالتجديد لغة: يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التى كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديدا.([3])

أما التجديد شرعا فهو: التجديد اللغوي عينه، مضافا إليه ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد.

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف التجديد، وتعددت صيغهم لكنها لم تخرج عن محاور ثلاثة:

المحور الأول: إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحمل الناس علي العمل بها.

قال العلقمي([4]): (معنى التجديد: إحياء ما اندرس من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما)([5])

وقال عن دور المجدد: (يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة)([6])

ويقول المودودي: (المجدد: كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه)([7])

---

[1] - لسان العرب لابن منظور (٢/٢٠٢)، ومختار الصحاح للرازي ص ٩٥.

[2] - المصباح المنير لأحمد بن علي المقري الفيومي ص ٩٢.

[3] - مفهوم تجديد الدين ليسطامي محمد سعيد ص ١٥.

[4] - هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، شمس الدين، فقيه شافعي عارف بالحديث، من بيوتات العلم في القاهرة، كان من تلامذة جلال الدين السيوطي، له مؤلفات أشهرها: الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير، توفي سنة ٩٦٩هـ.

[5] - فيض القدير شرح الجامع الصغير محمد بن عبد الرؤوف المناوي (١/١٤).

[6] - المصدر السابق (١/١٤).

[7] - موجز تاريخ تجديد الدين- أبو الأعلى المودودي ص.١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحور الثاني: قمع البدع والمحدثات، وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم، وتنقية الإسلام مما علق عليه من أوضار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

قال المناوي:([8]) (يجدد لها دينها: أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم)([9])

ويقول العظيم آبادي([10]) في عون المعبود: (التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات)([11])

ويذكر السيوطي([12]) في جامعه الصغير أن: (المراد بتجديد الدين، تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه،أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته)([13])

ويقول الموذودي: (التجديد في حقيقته: هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان)([14])

ويبين القرضاوي: أن التجديد لشئ ما: هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهِيَ منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى.([15])

فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء ، ولا يعني تجديد الدين إظهار طبعة جديدة

---

[8] - هو محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري الشافعي، له مصنفات كثيرة ، منها فيض القدير شرح الجامع الصغير، وشرح الشمائل للترمذي توفي سنة ١٠٣١هـ ، الأعلام للزركلي (٢٠٤/٦).

[9] - فيض القدير للمناوي (٣٥٧/٢).

[10] - هو محمد شمس الحق آبادي الهندي، أبو الطيب، محدث، أشهر كتبه عون المعبود شرح سنن أبي داود توفي سنة ١٨٥٨هـ معجم المؤلفين (٣٤٦/٣) .

[11] - عون المعبود شرح سنن أبي داود- العظيم آبادي (٣٩١/١١).

[12] - هو الحافظ المؤرخ الأديب، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تتلمذ على يد جماعة من العلماء، منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، كان يحفظ مائتي ألف حديثا وألف حوالي ستمائة مصنف، وقد اعتزل الناس حين بلغ الأربعين ، وألف في عزلته أكثر كتبه، كانت نشأته في القاهرة وتوفي بها سنة ١٤٩١١هـ - ١٥٠٥م ، الأعلام (٣٠١/٣).

[13] - مقال بعنوان"معنى تجديد الدين"مجلة الوعي العدد ١٢٩ ص ٢٥.

[14] - موجز تجديد الدين وإحياؤه -أبو الأعلى المودودي ص ٢٥.

[15] - من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا د. يوسف القرضاوي ص٢٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولذلك جاء عنوان البحث " **تجديد الخطاب العقدي في العصر الحديث**" وليس تجديد العقيدة لأن الخطاب العقدي يتمثل فيما أنتجه المسلمون من علوم ومعارف واجتهادات على طريق فهم العقيدة وشرح أحكامها، أما العقيدة ذاتها فهي وحي الله في الكتاب والسنة.([٢٢])

المبحث الثاني: مشروعية التجديد ومجالاته

وردت في السنة النبوية المطهرة، عدة إشارات إلى أن الله تعالى سيحفظ هذا الدين، وسيبقيه خالدا منتصرا إلى قيام الساعة، وذلك عبر علماء ربانيين عدول يبعثهم الله بين الفترة والفترة، ليحموا هذا الدين، ويحيوا سنته، ويجددوا ما اندرس من معالمه، إلا أن لفظة التجديد لم ترد إلا في حديث واحد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه. وهذا الحديث أخرجه عدد من أئمة الحديث في مصنفاتهم وهم: أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، والطبراني في معجمه الأوسط، والخطيب البغدادي في تاريخه وغيرهم من أئمة الحديث.

وسنقتصر على ذكر رواية أبي داود منعا للتكرار والتطويل، قال أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة: حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**"([٢٣])

مجالات التجديد:

من خلال تعريف التجديد السابق، وملاحظة الأعمال التي اضطلع بها المجددون، نستطيع أن نحدد المجالات الإجمالية التي يتم التجديد من خلالها في مجالات خمسة هي:

[٢٢] - ليس من الإسلام- الشيخ الغزالي ص ١٣٥,١٣٦ بتصرف.

[٢٣] - رواه ابو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (٤ /١٠٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منه، بل يعني العودة به إلي حيث كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان.([١٦])

المحور الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدّ من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي:

يقول الكاتب عمر عبيد حسنة: (ليس المراد بالاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد: هو الفهم الجديد القويم للنص، فهما يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي)([١٧])

ويقول عبد الفتاح إبراهيم: (التجديد: يعني العودة إلى المتروك من الدين، وتذكير الناس بما نسوه، وربط ما يجد في حياة الناس من أمور، بمنظور الدين لها، لا بمنظارها للدين)([١٨])

ويقول الطيب برغوث عن تجديد الدين هو (تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة الحضارية في العالم كقوة توازن محورية، عبر إحكام صلتها من جديد بسنن الآفاق والأنفس والهداية، التي تتيح لها مزيد من الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني)([١٩]).

ومن مجموع هذه التعريفات للتجديد يمكننا صياغة تعريف جامع له على الشكل التالي: " **تجديد الدين يعني: إحياء وبعث ما اندرس منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها**"

ونلاحظ من خلال هذه التعريفات أن كل المحاولات التي تهدف إلى تطويع الدين وجعله مسالما للجاهلية، ومسايرا لما فرضته قوى الكفر بسطوتها من أعراف وقيم غربية ومنكرة، تحت شعار التجديد والتطوير والإصلاح، ليست من التجديد في شيء.

---

١٦ - المصدر السابق ص ٢٨، ٢٩ بتصرف.
١٧ - الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية- عمر عبيد حسنة- ص ٢٠.
١٨ - حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين- عبد الفتاح إبراهيم- ص ٥٣.
١٩ - مجلة القافلة- مقال بعنوان "مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي"- العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون ١٩٩٩ ص١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الشيخ محمد الغزالي مهاجما أصحاب الاتجاه التطويري في الإسلام: (إن
محاولة للبتر أو الإضافة أو التحرير هي خروج عن الإسلام، وافتراء على الله
وافتيات على الناس، وتهجم على الحق بغير علم، وليس يقبل من أحد بلة أن يقول:
هذا نص فات أوانه، أو هذا حكم انقضت أيامه، أو أن الحياة قد بلغت طورا يقتضي
ترك كذا من الأحكام، أو التجاوز عن كذا من الشرائع، فهذه محاولات لهدم الإسلام
وإعادة الجاهلية.. ثم يقول: فلنعلم أن تجديد الدين لا يعني ارتكاب شيء من هذه
المحاولات المنكورة، ولم يفهم أحد من العلماء الأولين أو الآخرين أن تجديد الدين
يعني: تسويغ البدع ومطاوعة الرغبات، وإتاحة العبث بالنصوص والأصول لكل
متهجم، غير أن عصابة من الناس درجت في هذه الأيام على إثارة لغط غريب حول
إمكان ما يسمونه تطوير الدين وجعل أحكامه ملائمة للعصر الحديث)([20])

ويقول عبد العظيم الديب عن التجديد إنه: (لا يعني تبديل الدين أو تغييره، وإنما هو العودة إلى المنابع الأولى الصافية، وهي القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وفقه الصحابة والتابعين، دون أن يكون في ذلك إنكار للحاضر وإهمال للواقع)([21])

ويشار في ختام هذا المبحث وبالتأمل في تعريف التجديد إلى أن الذي يقع عليه التجديد هو علاقة الأمة بالدين وفكرها المتفاعل مع نصوصه وليس الدين نفسه، إذ هناك دين وتدين، أما الدين فهو المنهج الإلهي الذي بعث الله به رسوله صلى الله وعليه وسلم وأنزل به كتابه، من عقيدة وعبادة وأخلاق وشرائع، لينظم بها علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض...

والدين بهذا المعنى، ومن حيث أسسه وأصوله، ثابت لا يقبل التغيير ولا التجديد.

أما التدين فيعني: الحالة التي يكون عليها الناس في علاقتهم بالدين فكرا وشعورا وعملا وأخلاقا. وفي هذا المعنى يقال: (فلان ضعيف الدين أو قويه، حسن الإسلام أو رديئه، فهذه الحالة هي التي يقع عليها التجديد، وتقبل الإصلاح والتغيير)

---

[20] - كيف نفهم الإسلام- الشيخ الغزالي ص ١٨٣.

[21] - مجلة القافلة- مقال بعنوان "مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي"- العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون ١٩٩٩ ص١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجال الأول: الحفاظ على نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية

لأنه إذا كان المراد من حديث التجديد: إحياء وإعادة ما اندرس من الدين، فإن الأمر إنما يقوم على النصوص الأصلية التي أنزلها الله في كتابه، أو بينها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ولا بقاء لدين دون حفظ نصوصه، وما حرفت الأديان السابقة على الإسلام، وانحرفت عن الصراط المستقيم إلا بسبب ضياع أصولها، وتفسير أتباع تلك الديانات في حفظها، والتوثق من نقلها.

والقرآن قد تكفل الله بحفظه حيث قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"([٢٤]) وحفظ القرآن يستلزم حفظ السنة، لأنها بيان للقرآن كما قال تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"([٢٥]) ورغم أن الإسلام بنصوصه الأصلية، كتاب وسنة، محفوظ بحفظ الله، إلا أن ذلك، إنما يتم ويتحقق بهم العلماء الربانيين وجهودهم وتضحياتهم، وهذا ما حدث بالفعل.

المجال الثاني: نقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها

مما لا شك فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسّر لأمته معاني القرآن الكريم وبينها بيانا تاما شافيا، قال تعالى: " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون"([٢٦]) وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم معاني القرآن الكريم من رسل الله صلى الله عليه وسلم كما تلقوا ألفاظه، وكذلك الأحاديث، إذ المقصود من الألفاظ معانيها، ومن غير المعقول أن يكون خطاب الله ورسوله لهم بما لا يفهمونه وعليه يصبح فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة وتلقي معاني النصوص منهم من الأمور التي يتحتم لزومها، خاصة وأن نصوص الوحي كانت بلغة خطابهم الوحيدة وقد عايشوا أسباب نزولها، والجو المحيط بها وبادروا إلى العمل بها، وكانت نفوسهم معها، لأنها مست أدق المسائل في حياتهم، وواكبت مختلف ظروفهم

---

[٢٤] - سورة الحجر آية: ٩.
[٢٥] - سورة النحل آية: ٤٤.
[٢٦] - سورة النحل آية: ٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأحوالهم، كل ذلك يجعل فهمهم للنصوص جزءا لا يتجزأ من الدين، والإعراض عن فهمهم اتباعا لغير سبيل المؤمنين([٢٧])

المجال الثالث: الاجتهاد في الأمور المستجدة، وإيجاد الحلول لها

إذا كان الإسلام هو دين الله الخالد إلى قيام الساعة، الشامل لكل زمان ومكان وإنسان، ونصوصه محدودة بينما الحوادث والمستجدات ممدودة، فلا بد إذن من حتمية فتح باب الاجتهاد لإنزال النصوص المحدودة على الحوادث الممدودة، وإيجاد الحلول الإسلامية المناسبة لما يطرأ على الناس من مشكلات، وإلا وقع الناس في حرج وضيق نتيجة بعدهم عن أحكام ربهم، وساغ لأعداء الدين وأصحاب النوايا الخبيثة والنفوس المريضة، اتهام الإسلام بالجمود والرجعية، وعدم الصلاحية لكل زمان ومكان.

المجال الرابع: تصحيح الانحرافات

تبين فيما سبق أن من تعريف تجديد الدين، تصحيح الانحراف وقمع البدع، وتنقية الإسلام مما علق به من العناصر الدخيلة. والواقع أن الانحراف عن الدين على أمرين:

الأمر الأول: انحراف في المفاهيم والقيم، ويعني هذا النوع بنشوء اعتقادات وتصورات عن الدين على خلاف الحق الذي أنزله الله وأراده.

الأمر الثاني: انحراف في السلوك والعمل، ويعني بقاء الاعتقاد صحيحا، لكن السلوك والعمل يخالف الاعتقاد والتصور.

وقد عبر العلماء عن الانحراف الاعتقادي بأنه مرض الشبهة، وعن الانحراف السلوكي بأنه مرض الشهوة. يقول ابن قيم الجوزية: (إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان موته وهلاكه، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله).([٢٨])

ولا شك أن انحراف الشبهة أخطر وأعظم من الانحراف الناشئ عن الشهوة، قال ابن قيم الجوزية: (والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، ثم

[٢٧] - ما أنا عليه وأصحابي- أحمد سلام ص٩٦.
[٢٨] - مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (١/١١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: وهذه الفتنة- فتنة الشبهات- مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال)([٢٩])

لذلك كانت عناية المجددين بتصحيح الانحراف الناشئ عن الشبهات أعظم وأشد، وإن شمل تجديدهم وإصلاحهم الانحراف في السلوك والأعمال أيضا.

المجال الخامس: حماية الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيله

وذلك لأن إعادة الدين إلى أصوله، وصيانته من عبث العابثين وتحريف المحرفين، وحماية العاملين به الحاملين للوائه يحتاج إلى قوة وبأس.لأن قوام الدين: كتاب للهداية وسيف للنصرة، كما قال تعالى: " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب"([٣٠]) يقول ابن تيمية رحمه الله: (أخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وذكر أنه أنزل الحديد الذي ينصر هذا الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر "وكفى بربك هاديا ونصيرا"([٣١]) ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد، كما قال من قال من السلف: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء)([٣٢])

[٢٩] - إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان لابن قيم الجوزية (٢/٢٣٩).
[٣٠] - سورة الحديد آية: ٢٥.
[٣١] - سورة الفرقان آية: ٣١.
[٣٢] - مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/١٨٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

أنواع الخطاب العقدي

أعرض هنا . وفي إيجاز . أشهر أنواع الخطاب العَقَدِي الذي جرى عليه أمر النَّاس قديماً وحديثاً في المؤسسات الرسمية وغيرها، مشيراً إلى ما فيها من القصور، ثم أذكر ما أراه الأولَى في عرض قضايا العقيدة.

أ- المبحث الأول: الخطاب الكلامي

السمة الغالبة على علم الكلام: النِّزاع والجدال، والتشقيقُ في العبارات والتعمقُ في المسائل، فلا تكاد تجد مسألةً من مسائله إلاَّ وللمتكلِّمين فيها نزاعٌ وشجار، حتى عُدَّ ذلك من أسباب تسميته.

ولا يُنْكَر ما للمتكلِّمين من جهود مشكورة في الردِّ على الملاحدة وأهل الأديان المنحرفة، وأصحاب البدع الكبار، لكن في طريقتهم ضعفاً وقصوراً، يورث أحياناً شكوكاً لا ينحلّ المرء منها بسهولة، فلا ينبغي أنْ يُعوَّل عليها في تأسيس إيمان الشبيبة المسلمة، فكيف إذا عرفنا تضمنها بعض المغالطات، وهاهنا بعض التفصيل لهذه الجملة:

١- صعوبة اللُّغة الكلامية:

وذلك ظاهر جداً في كتب علم الكلام ومؤلفاته، وفي مصطلحاته؛ كالأينية والبينية والجوهر والعرض، والطفرة ونحو ذلك، وقد قيل ثلاثة لا تُعقل: طفرة النَّظَّام، وكسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم.

وهذه الصعوبة تتأكد في حال أجيالنا المعاصرة، وقد يكون للمتكلمين العذر؛ إذ كانوا يخاطبون ويجادلون قوماً هذه لغتهم، وهذا أسلوب خطابهم، ولعلَّهم لا يفهمون المُراد بغير ذلك، أمَّا أنْ يكون أسلوب المتكلِّمين هو الخطاب العَقَدِي المعاصر، والذي تُؤسَّس به عقيدةُ المسلمين، أو تُدفع به الشُبُهاتُ المثارة، فهذا مما يصعب على أجيالنا المعاصرة استيعابه. وهو الأمر الذي جعل كتب العقائد ومادة العقيدة من أصعب المواد والمقررات في جامعاتنا ومعاهدنا.

وأيضاً . فإنَّ كتب الكلام صُنِّفت للردِّ على المخالفين من شتَّى الطَّوائف، ولم تُصنَّف لتأسيس العقيدة وتقريرها ابتداءً، وهذا مما يزيد في صعوبة فهمها وفهم لغتها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- إغفاله الجوانب العملية في تأسيس البناء العقدي:

فعلم الكلام لا يُحمل على العمل والتَّفاعل السلوكي مع قضايا الإيمان والإسلام، ولهذا قال الإمام مالك . رحمه الله تعالى .: "الكلام في الدِّين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلاَّ فيما تحته عمل، فأمَّا الكلام في دين الله وفي الله تعالى فالسكوت أحب إليّ؛ لأنّي رأيتُ أهْلَ بلدنا ينهون عن الكلام في الدِّين إلاَّ فيما تحته عمل"(٣٣).

قال أبو عمر بن عبد البر . رحمه الله تعالى .:"...والذي قاله مالك . رحمه الله تعالى . عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى.."(٣٤).

وقال ابن قتيبة(٣٥) . رحمه الله تعالى .: "وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر، وفي تفضيل أحدهما على الآخر، وفي الوساوس والخطرات ومجاهدة النَّفس، وقمع الهوى. فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر..."(٣٦).

٣- عدم التركيز على قضية العبودية لله تعالى:

مع أنَّ تعبيد النَّاس لربهم وإخضاعهم لشرعه وحكمه هو الذي بُعِثت لأجله الرُسُل ونزلت به الكتب، وله قامت سوق الجهاد، وانقسم النَّاس فيه إلى مؤمنٍ وكافر، وفريقٍ في الجنَّة وفريقٍ في السَّعير، لكن المتكلِّمين استفرغوا وُسعهم وبذلوا جُهودهم، وقتلوا أوقاتهم في تقرير مسائل الوجود ومعرفة الخالق، مع أنَّ هذا أمرٌ مستقر في الفطر وواضح ببدائه العقول لدى أكثر الخلق، فقد قال الله عن المشركين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٣٧)، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

(٣٣) ابن عبد البر، يوسف أبو عمر، جامع بيان العلم وفضله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١١٦/٢.

(٣٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم، ١١٦/٢.

(٣٥) هذه الألفاظ درجت على السنة المتكلمين، وحفلت بها مصنفاتهم؛ فالاستطاعة هل تكون قبل الفعل أم بعده أم معه على خلاف بينهم، والتولد هو أن الفعل يحدث من غير إرادة ولا قصد وإنما يتولد تولداً، والطفرة هو الانتقال من النقطة (أ) إلى النقطة (ج) دون المرور بالنقطة (ب)، والجزء ما يكون لي متفاوت الذي، والجزء الذي لا يتجزأ يرمز به إلى أصغر الأشياء كالذرة مثلاً، والجوهر ما يقوم بنفسه مثل الجسم، والعرض ما لا يقوم بنفسه، بل يقوم بغيره مثل الصفات.

(٣٦) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩هـ ص ٩.

(٣٧) سورة الزخرف، الآية (٨٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾(٣٨)، إلاَّ من فسدت فطرته، وتعطَّلت مداركه، فمثل هذا قد يحتاج إلى علاجٍ ماديّ أو معنويّ قبل أن يُكلَّم أو يُجادل! والقرآن حينما تعرَّض لهذه الأمور فمِنْ باب الإلزام، فكأنَّه يقول: يا من تُقِرُّ بوجود الله وأنَّه الخالق، فلا أحدّ يستحق العبادة غيره، ولا أحدٌ يصلح حكمه سواه؛ إذ هو الخالق لا خالق إلاَّ إيَّاه، فلماذا تُشرك معه آلهةً أخرى، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾(٣٩).

٤- عدم الجزم واليقين في مسائل الكلام:

فأكثر مسائل الكلام تجويزات واحتمالات، حتى قال أبو حامد الغزالي . رحمه الله تعالى . في ذمِّه: "... أمَّا مضرته: فإثارة الشُبُهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في اعتقاد الحق.

وأما منفعته فقد يظن أنَّ فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعلَّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي(٤٠) ربما خطر ببالك أنَّ النَّاس أعداءُ ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خَبرَ الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلِّمين، وجاوز ذلك إلى التعمُّق في علوم أُخَر تناسب نوع الكلام، وتحقق أنَّ الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري، لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور..."(٤١).

(٣٨) سورة الزخرف، الآية (٩).
(٣٩) سورة يونس، الآيتان (٣١-٣٢).
(٤٠) حشوي وحشوية، لفظة يعبر بها نفاة الصفات المثبتون لها، ويظنون بذلك أنهم مجسمة ومشبهة.
(٤١) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٩٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول ابن تيمية . رحمه الله تعالى .: "إنَّك تجد أهل الكلام أكثر النَّاس انتقالاً من قولٍ إلى قول، وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه، وتكفير قائله في موضعٍ آخر، وهذا دليل عدمِ اليقين. ولهذا قال بعض السلف . عمر بن عبد العزيز أو غيره .: "من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقُّل"(٤٢).

ولهذا قال الإمام مالك . رحمه الله تعالى .: "أو كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء(٤٣).

٥- كثرة الاختلاف والتنازع في أهله:

وهو من السمات البارزة لأهل الكلام؛ حتى بين أهل الطائفة الواحدة والمذهب الواحد، فلا تكاد تجد اثنين منهم على وفاقٍ تام في غالب مسائلهم، وهذا ليس في فروع الدِّين، وإنَّما في أصوله بل في المسائل التي يسمونها قطعيات ويقينيات؛ فهذا أبو هاشم خالف أباه في تسعٍ وعشرين مسألة، وكان أبوه يخالف أبا الهذيل في تسع عشرة مسألة. وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير وفاحش؛ يُكفِّر بعضهم بعضاً، وذُكر أنَّ الاختلاف بينهم في أكثر من ألف مسألة(٤٤).

وقد قال ابن قتيبة . رحمه الله تعالى .: "وقد كان يجب . مع ما يدعونه من معرفة القياس، وإعداد آلات النَّظر . أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسَّاب والمُسَّاح والمهندسون؛ لأنَّ آلاتِهم لا تدلُّ إلاَّ على عدد واحد، وإلاَّ على شكل واحد، وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء، وفي نبض العروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافا لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين...ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لاتسع لهم العذر عندنا ، وإن كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم، كما اتسع لأهل الفقه ووقعت لهم الأسوة بهم، ولكن اختلافهم في التوحيد وفي صفات الله تعالى، وفي قدرته، وفي نعيم أهل

(٤٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس، مجموع فتاوى ابن تيمية، مكتبة المعارف، المغرب، ٥٠/٤.

(٤٣) انظر: الأصبهاني، إسماعيل بن محمد أبو القاسم: الحُجَّة في بيان المحجة، برقم ٤٧٦، تحقيق محمد ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية، الرياض، السعودية، ط/١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ٤٥٥/٢، واللالكائي، هبة الله بن الحسن أبو القاسم: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، برقم ٢٩٣-٢٩٤، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤٤/١.

(٤٤) انظر: الملطي، محمد بن أحمد أبو الحسين: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم محمد زاهد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنة وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى... "(٤٥).

هذا إلى جانب ما نقل عن كثير من الأئمة والعلماء في ذم الكلام وبيان عواره وبطلانه، وأبلغ من ذلك ما نقل عن كثير من أئمة الكلام من رجوعهم عن الكلام، وذمهم له، وبيان فساده وعدم جدواه، ثم توبتهم من ذلك وندمهم على ما كان منهم، وعلى ما ضيعوه من الأزمان، وإتعاب الأذهان، ثم ميلهم إلى طريقة أهل السنة واستحسانهم لها، ونصح تلاميذهم وأتباعهم بذلك.

ولا يعني ما ذكر آنفا هدم ما لأهل الكلام من جهود مشكورة، ومساع حميدة مبرورة، في الرد على البدع الكبار كبدعة الرفض(٤٦) والتجهم(٤٧) والباطنية(٤٨)، والتصدي لليهود والنصارى والمشركين والفلاسفة الملحدين ونحوهم. مما شكرهم المسلمون عليه، واستحمدوا مواقفهم التي فيها النصرة لدين الله تعالى . يقول ابن تيمية . رحمه الله تعالى .: "وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل الكُلابيَّة والكراميَّة والأشعريَّة إنما قُبلوا وأُتبعوا واُستُحْمِدُوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان؛ من إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة، والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم، وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة والرافضة والقدرية(٤٩) من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة"(٥٠).

(٤٥) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد: تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٩٣هـ-١٩٧٣م، ص ١٤-١٦.

(٤٦) الرفض نسبة إلى الرافضة، وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، من مذاهبهم: النّص على الإمامة، وأنها لا تخرج من علي وولده إلا بظلم من غيره أو بتقية منه، وقالوا بعصمة الأئمة، والولاء والبراء، الولاء لآل البيت والبراء من أعدائهم، ويعنون بذلك سائر الصحابة ومنهم أبا بكر وعمر وغيرهم. انظر: الأشعري، علي بن إسماعيل أبو الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. ١/٥. والشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ١/١٤٦-١٤٧.

(٤٧) التجهم نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي، قتله سلم بن أحوز المازني أمير ملك بني أمية سنة ١٢٧هـ قال بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة والكفر هو الجهل فقط وقال بالجبر المحض، وأن القرآن مخلوق. انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/٢٧٩-٢٨٠، والشهرستاني: الملل والنحل، ١/٨٦-٨٨.

(٤٨) الباطنية: عدة فرق، سُمّوا بذلك لقولهم بأن لظواهر نصوص القرآن والسُّنّة بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر، وجعلوا ما في النصوص من علائق وأحكام إشارات إلى بواطن أخرى لا ينالها إلا المتعمقون، فالتوحيد شرك، والصلاة مولاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والصوم الإمساك عن إفشاء سره إلى غير ذلك. انظر: الحلبي، عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، القاهرة - مصر، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٩٦.

(٤٩) القدرية: هم من نسبوا إلى القدر، أي أن تقدير الأفعال إلى الإنسان لا إلى الخالق، ومنهم المعتزلة، فالأفعال مخلوقة للعبد، تنسب إليهم فعلاً وخلقاً وكسباً. انظر: الحلبي: موسوعة الفرق، ص ٣١٥.

(٥٠) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ٤/١٢-١٣. وانظر : ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ١٤٦-١٤٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني: الخطاب الصوفي الإشاري

بعض المتصوفة وبوافقهم الباطنية يجعلون لنصوص الشرع معاني ظاهرة هي حظ العوام، وأخرى باطنة لا يطلع عليها إلا الخواص أو خواص الخواص، والمعاني الباطنة عادة . عند هؤلاء . تخالف المعاني الظاهرة، ولهذا يحتاجون إلى التصرف في ظواهر نصوص الشرع بنوع من التأويل.

كما أنهم يزعمون استفادة مذاهبهم من الله مباشرة لا عن طريق الوحي الشرعي، وإنما بوسائل أخرى تدور على أمرين أساسين هما: الكشف والرؤى، وهو ما يعبرون عنه أحيانا بالعلم اللدني. وربما يبررون مخالفة الباطن للظاهر بقصة الخضر وموسى . عليهما السلام . الواردة في سورة الكهف.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المعرفة الصوفية لا يمكن تعلمها ولا شرحها ولا الاستدلال عليها، وإنما يمكن معرفة طرقها ووسائلها ومناهجها وتعاليمها، وأحكامها، فيأخذ بها السالكُ نفسَه ليصل إلى المقصود، فهي حالة يعيشها السالك فحسب، حالة تُعْلم بالمنازلات والمواجيد(٥١) فلا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات(٥٢)يقول عبد الرحمن الجامي: "إن مستند الصوفية فيما ذهبوا إليه هو الكشف والعيان، لا النظر والبرهان..." وذكر أن السالك يفرغ قلبه عن جميع التعلقات الكونية، والقوانين العلمية(٥٣).

وذكر أبو حامد الغزالي . رحمه الله تعالى . أن علوم الصوفية إنما فاضت عليهم فيضا، ولم تحصل لهم بالتعلُّم والدراسة والكتابة للكتب، والنظر في المصنفات، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل من لوازم طريقهم قطع الهمة عن الأهل والولد والعلم، فلا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ولا بالنظر في كتب

(٥١) التواجد: استدعاء الوجد تكلُّفا، والوجد: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنُّع، وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا. انظر: الجرجاني، علي بن محمد، أبو الحسين: التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧، ص ٩٩، ٢٠٥.

(٥٢) انظر: خلاب، محمد: المعرفة عند مفكري المسلمين، مراجعة محمود العقاد وزكي نجيب محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ص ٨٩-٩٠، والبهي، محمود: مقدمة كتاب مناهج الأدلة لابن رشد، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٦٤م، ص ٢٤، والكلاباذي، محمد أبو بكر: التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، تحقيق عبد الحليم محمود، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص ٨٧.

(٥٣) الجامي، ملا عبد الرحمن، الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء، بذيل كتاب أساس التقديس لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، مطبعة كرمستان العلمية، مصر، ١٣٢٨هـ، ص ٢٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحديث وغيرها(٥٤).

ولا ريب أن المؤمن إذا صحت معرفته بالله ورسوله ودينه، وصدقت متابعته للشرع ظاهراً وباطناً، يفتح الله عليه بما لا يفتح على غيره؛ من إلهامات صحيحة وفراسات صائبة وأحوال صادقة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾(٥٥). وكان عمر ﷺ يقول: "اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة"(٥٦).

مع أن أفضل كرامة ينالها السالك هي متابعة النبي ﷺ ظاهرا وباطنا، وأحسن الكشف وأجله أن يكشف للسالك عن طريق الشريعة ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها، فما أكرم الله الصادقين بكرامة هي أعظم من هذا الكشف، وفي الحديث: "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه..." (٥٧).

وقال تعالى في وصف الأولياء: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(٥٨)، فلم يذكر لهم شيئا غير وصف الإيمان والتقوى فدل على أنه أحسن الأوصاف وأجلُها.

ومرتبة الوحي أعظم وأشرف من مرتبة الذوق والوجد والإلهام ونحوها، فكل إنسان يذوق ويجد ما يحبه ويتشهى، وربما كان الشيطان يتمثل في صورة المحبوب،

(٥٤) انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣/١٨-١٩.
(٥٥) سورة النساء، الآيات (٦٦-٦٨).
(٥٦) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ١/٤٧٣-٤٧٤.
(٥٧) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، كتاب الرقاق، برقم ٦٥٠٢، خدمه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، ١٣٨٠هـ، ١١/ ٣٤٨-٣٤٩.
(٥٨) سورة يونس، الآيتان (٦٢-٦٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيخاطب الإنسان بأشياء يزعم أنها من جهة المحبوب، وقد يخاطبه الشيطان بأشياء حسنة رشوة له، لا يخاطبه بما يعرف أنه باطل، لئلا ينفر منه، بل بما يرى أنه حق(٥٩).

والإلهام دليل خاص، فكثير من أهل الإيمان والصدق يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر أو فاسق، من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله في قلبه، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في حق أولياء الله المتقين(٦٠).

لكن هذا يعد أمرا خاصا لا يتعدى المكاشَف أو الملهَم، بل يحكم به في خاصة نفسه، ولا يُلزم به غيره لعدم قدرته على إقامة الدليل على صحة كشفه أو إلهامه. قال الشيخ العطار: "الإلهام حجة في حق الملهم دون غيره، بذلك صرح الشيخ شهاب الدين السهروردي، ومال إليه التفتازاني في بعض مصنفاته"(٦١).

ومع ذلك فهناك من يرى تقييد الإلهام ونحوه بعدم مخالفته للشرع، فلا يجوز أن يحكم به الشخص ولو في خاصة نفسه إذا كان مخالفا للشرع.

فهل بعد ذلك يصلح الإلهام ونحوه من الكشف والرؤى دليلاً وعلامةً على الحق عند سائر النَّاس؟!

أمَّا المعنى اللَّدُني والذي يتعلق به غالية الصُّوفية، ويدَّعون أنَّه علم الحقيقة، وأنَّه يُخالف العلم الظاهر، ويستدلون على ذلك بقصة موسى والخضر . عليهما السلام ، فلا ريب أنَّ الله تعالى يفتح على قلوب أوليائه المتَّقين وعباده الصَّالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واشتغالهم بما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾(٦٢)، وقال: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾(٦٣)، وقال

(٥٩) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ٦١١/١-٦١٢.

(٦٠) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ٤٧/٢٠.

(٦١) العطَّار، حسن: حاشية العطَّار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للسبكي، المطبعة العلمية، مصر، ط١، ١٣١٦هـ، ٢١٢/٢.

(٦٢) سورة النساء، الآيات (٦٦-٦٨).

(٦٣) سورة المائدة، الآية (١٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾(٦٤).

وليس في هذا الفتح الإلهي والتوفيق الرباني ما يخالف حقائق الشرع أو ظواهره، بل كل ما يخالف الشرع يُحكم ببطلانه.

أما قصة موسى والخضر . عليهما السلام . فعند النظر والتحقيق يتبيَّن أنَّه ليس فيها خروج على الشريعة، فاعتراضات موسى كانت وفق الظواهر والبيِّنات المعلومة لديه، والخضر يفعل وفق البينات والظواهر المعلومة لديه والتي كانت خافية على موسى، ولهذا لما تبيَّنت لموسى لم يعترض عليها، وعلى أقل تقدير يمكن أنْ يقال: إنَّ هذه القصة تأخذ حكم شرع مَنْ قبلَنا، بل الخضر نفسه لم يكن على شريعة موسى عليه السلام فهو على علم علَّمه الله تعالى، وموسى على علم آخر علَّمه الله تعالى كما صرحت بذلك الروايات(٦٥).

وقد يحسن من المتكلِّم أحياناً ترك البيان والإفصاح عن مراده بعبارة واضحة، بل يدخل في التعمية على المخاطب إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، فيتكلَّم بالمجمل ليجعل لنفسه سبيلاً إلى تفسيره بما يتخلص به، أو ليوهم السامع أنه أراد ما يخاف إفهامه إيَّاه(٦٦).

قال أبو عبيد: "المعاريض أنْ يريد الرجل أنْ يتكلَّم بالكلام الذي إنْ صرَّح به كان كذباً، فيعارضه بكلام آخر يوافق ذلك الكلام في اللفظ ويخالفه في المعنى، فيتوهم السامع أنه أراد ذلك"(٦٧).

لكن أنْ يقال: إنَّ نصوص الشرع ولا سيما ما يتعلق منها بأصول الدين والإيمان، من مسائل الصفات الإلهية، والأفعال الربانية، ومسائل الملائكة، والجنة والنار، والأسماء والأحكام، كلها من هذا الباب، فهي كنايات ورموز وإشارات، وإنَّ الشارع لم يفصح عن مراده ولم يبيِّن مقصوده، بل ما قَصَدَه وأَرَادَه هو وراء هذه الظواهر، وهو سر لا

(٦٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٢). وانظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ١٣/٢٤٥.

(٦٥) انظر: البخاري: الجامع الصحيح "فتح الباري"، برقم ٤٧٢٥، ٩/٤٠٩.

(٦٦) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق علي دخيل الله، دار العاصمة، الرياض: السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ، ٢/٥٠٦.

(٦٧) البيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر، السُّنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب المعاريض فيها مندوحة عن الكذب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٥٥هـ، ١٠/١٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعلمه إلاَّ الأفذاذ من الناس، والآحاد من العلماء، فهذا يتنافى مع حكمة الشارع وقصده في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكون القرآن هدى ونوراً وشفاء لما في الصدور، وحياة للقلوب والأرواح.

ومع ذلك فلا ينبغي إهمال دور أهل التحقيق من شيوخ التصوُّف في معالجة أمراض النفوس، وتطهيرها من أدران الشرك والإلحاد وملاحظة السوى . أي الغفلة عن الله. وتنقيتها من حظوظها المخالفة للشريعة، من: الكبر، والبطر، والعجب، والحسد، والغل، وسوء الظن بالرب تعالى، ونحو ذلك، إضافة إلى شحذ الهمم للاستكثار من العبادات، والسير بالنفوس في مدارك المقامات، والرقي بها في سلم الكمالات؛ بأسلوب لطيف، وعبارة رقيقة، وطريقة شرعية حسنة.

المبحث الثالث: الخطاب السلفي

لا شك أن السلف الصالح من أهل القرون الفاضلة الأولى هم أصحاب الحق في مقابل غيرهم من أهل البدع والضلالات، وذلك لاعتبارات كثيرة نقلية وعقلية، ليس هذا مجال بسطها، لكن نحن مع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في مناهجهم ومذاهبهم في الاعتقاد والسلوك، وفي موقفهم من البدع التي واجهوها، والقضايا التي أجمعوا عليها، ونحن مع المدرسة السلفية، والتي يعتلي صرحها شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله تعالى . ومن قبله ومن بعده من علماء الأمة وجهابذتها، نحن معهم في مقابل أهل الفلسفة والكلام والتصوف المنحرف والزندقة، ونحن معهم في مواقفهم من قضايا: القدر، ومرتكب الكبيرة، والإمامة، والصحابة، والصفات الإلهية، وخلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، والحلول والاتحاد، ووحدة الوجود ونحو ذلك من القضايا التي جادلوا فيها المخالفين لهم. لكنني مع ذلك أريد أن أسجل هنا بعض الملاحظات على الخطاب السلفي المعاصر، وهي نصائح أرجو أن توافق آذانا صاغية وقلوبا واعية:

١- أنهم لم يراعوا لغة العصر الذي نعيشه، فخاطبوا قومهم باللغة القديمة، أي القضايا القديمة والتي لا وجود لها أو لأكثرها الآن، أو أنها لا تشكل اهتماما لدى عامة الناس، بل هناك قضايا أولى منها قد استجدت على الساحة، أو هي موجودة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في بقعة دون أخرى، وبلغة مختلفة.

٢- اعتمادهم الكتب القديمة أو الحديثة المؤلفة على الطريقة القديمة وقد قدموها لتكون كتب عقيدة، مع أنها بكتب الفرق والخلاف أشبهُ منها بكتب العقيدة، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب شرح الطحاوية على ما فيه من العلم العظيم والدفاع الكبير عن فهم السلف ومنهجهم، لكنه مع ذلك لا يصلح أن يكون كتابا في تقرير العقيدة بسهولتها وشمولها، وأسلوبها القرآني المميز والمؤثر.

٣- التعرض لقضايا دقيقة وخفية، تعزب عنها عقول كثير من طلبة العلم فضلا عن العوام، أو تقع خارج دائرة اهتماماتهم، من ذلك هل الاسم هو عين المسمى أم غيره، وهل من فرق بين الوجود والماهية؟ ونزول الرب تعالى إلى السماء الدنيا، هل يلزم من ذلك خلو العرش منه أم لا؟ ونحو ذلك من التكلُّف.

٤- إثارة قضايا ليست هي محل خلاف بين عامة المسلمين اليوم، مثل قضية خلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، ولو ترك المسلمون فيها على فطرتهم، أو معرفتهم المتواضعة لكان أجدى وأنفع، وأوفر للوقت والجهد، أو أن تعرض في صورة تقريرية من غير إشارة للخلاف.

٥- إقامة الخلاف في الفروع مقام الخلاف في الأصول، وبالتالي تضيق صدورهم بما عليه غيرهم من مذاهب الاجتهاد ومدارس الفقه، حتى صوَّر لبعضهم أن المذهب المعتمد هو ما كان عليه إمام السنة والمحنة أحمد بن حنبل وما سواه باطل وابتداع، مع أن أحمد ﷺ كان يحذر هو وغيره من الأئمة من هذه المسالك.

٦- التوسع في إطلاق عبارات وأحكام التكفير والتفسيق والتبديع مما كوَّن حاجزا نفسيا بينهم وبين مجتمعاتهم التي تحتاج إلى تعليم وتوعية وتربية أكثر من حاجتها إلى مثل هذه الأحكام، وما أسهل النطقَ بها، وتوزيعها على الناس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

أصل مشكلة الخطاب العقدي وكيفية علاجه

المبحث الأول: مشكلة الخطاب العقدي في العصر الحديث

المتأمل في كتب العقيدة التي صنفت وفق معتقد الأشاعرة والذي ينتشر في أرجاء العالم الإسلامي انتشارا ضخما، وتمتلئ به كثير من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والأصول، فضلا عن كتب العقائد والفكر، وله جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال، أقول إن المتأمل في هذه الكتب يرى فيها بصمات الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والجبرية ظاهرة جلية في كثير من المسائل، ويمكننا إيجازها فيما يلي([٦٨]):

أولا: مصدر التلقي

مصدر التلقي عند الأشاعرة في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو العقل. وقد صرح أئمة الأشاعرة بذلك كالجويني والرازي والبغدادي والغزالي والآمدي والإيجي والسنوسي وشراح جوهرة التوحيد وغيرهم، بل بعض العلماء صرح بأن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

يقول السنوسي في شرح الكبرى: (وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق بالكتاب والسنة، ويحرم ما سواها، فالرد عليه أن حجتيهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضا فقد وضعت فيهما ظواهر من اعتقدها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع)([٦٩])، ويقول: (أصول الكفر ستة.... سادسها: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة، من غير عرضها على البراهين العقلية، والقواطع الشرعية)([٧٠])، ويقول الصاوي: الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.([٧١]) وليس هذا الكلام عند السنوسي والصاوي فحسب، بل عامة كتب الأشاعرة تطلق على النصوص التي تتضمن إثبات بعض الصفات لله بأنها نصوص موهمة للتشبيه، يقول ناظم جوهرة التوحيد :

---

٦٨ - منهج الأشاعرة في العقيدة- سفر الحوالي- ص ٣١ الدار السلفية ط١ ١٩٨٦م.
٦٩ - شرح الكبرى للسنوسي ص ٥٠٢.
٧٠ - المصدر السابق ص ٥٠٢.
٧١ - حاشية الصاوي على الجلالين (١٠/٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها(٧٢)

وقد ألجأ هذا المنهج العقلي عند الأشاعرة علماءهم إلى تقسيم أصول العقيدة إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم مصدره العقل وحده، وهو ما يحكم العقل بوجوبه دون التوقف على الوحي.

٢- قسم مصدره العقل والنقل معا كرؤية الله تعالى.

٣- قسم مصدره النقل وحده، وهو السمعيات، وهو ما لا يعرف إلا عن طريق النقل، فهذا يقبل منه ما لا يعارض العقل، أما ما يعارض-كما زعموا- فيجب تأويله وصرفه عن ظاهره.(٧٣)

وقد عدوا من النصوص المعارضة للعقل والتي يجب تأويلها ما يلي(٧٤):

قوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون"(٧٥)، وقوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى"(٧٦)، وقوله: "وجاء ربك"(٧٧)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير"(٧٨)

وقالوا: ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: "ويبقى وجه ربك"(٧٩)، وقوله: "يد الله فوق أيديهم"(٨٠)، وحديث: "إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين إصبعين من أصابع الرحمن"(٨١)، وقد اشتغلوا بتأويلها تأويلا متعسفا، والحق أنه ليس في النصوص الصحيحة ما يتعارض مع العقل، بل إما أن يشهد العقل بصحتها ويعضدها أو يعجز عن إدراكها والإحاطة بها لقصوره وعدم قدرته على تجاوز حده، فالشريعة تأتي بما يحير العقول ولا تأتي أبدا بما تحيله(٨٢)

٧٢ - شرح جوهرة التوحيد ص ٩١.
٧٣ - منهج الأشاعرة في العقيدة- سفر الحوالي- ص ٥٤,٥٥.
٧٤ - شرح جوهرة التوحيد ص ٩٣.
٧٥ - سورة النحل آية: ٥٠.
٧٦ - سورة طه آية: ٥.
٧٧ - سورة الفجر آية: ٢٢.
٧٨ - رواه ابن ماجه في سننه- كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، رقم الحديث ١٣٥٦.
٧٩ - سورة الرحمن آية: ٢٧.
٨٠ - سورة الفتح آية: ١٠.
٨١ - رواه مسلم في صحيحه- كتاب القدر- باب تصريف الله كما يشاء، رقم الحديث ٤٧٩٨.
٨٢ - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد- عثمان علي حسن (١٧٨/١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: القرآن وصفة الكلام

على الرغم من أن أشهر المسائل التي افترقت بها المعتزلة عن أهل السنة هي القول بخلق القرآن، ومن أجلها امتحن المأمون علماء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ليصرفهم عن عقيدتهم في أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

على الرغم من ذلك نجد أن الأشاعرة يتبنون حقيقة قول المعتزلة، ولا يختلفون معهم إلا في التعبير عنه،حيث فرقوا بين لفظ القرآن ومعناه، وجعلوا المعنى هو الكلام النفسي غير مخلوق أما لفظ القرآن الذي نتلوه ونسمعه فهو مخلوق، قالوا: (لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم) (٨٣) فعاد قولهم هذا إلى قول المعتزلة، لأن قول السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، يشمل اللفظ والمعنى ولا تعرف العرب لفظا دون معنى،(٨٤) وقد اعترف الدكتور البوطي أن الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في هذه المسألة خلاف لفظي لا حقيقي وأن الجميع متفق على أن اللفظ مخلوق، وادعى أن موقف الإمام أحمد هو مما تفرد به عن أهل السنة والجماعة فقال: (وأما الكلام الذي هو اللفظ، فاتفقوا على أنه مخلوق، وعلى أنه غير قائم بذاته سبحانه، باستثناء أحمد بن حنبل وبعض أتباعه، فقد ذهبوا إلى أن هذه الحروف والأصوات أيضا قديمة بذاتها، وأنها هي المعني بصفة الكلام)(٨٥)، ثم يعود ويؤكد أن موقف الإمام أحمد بن حنبل في محنة القول بخلق القرآن، موقف خاص تفرد به الإمام أحمد، ولا يمثل رأي أهل السنة والجماعة في وقته فيقول: (ومعظم ما تسمعه من الأصداء الرهيبة للخلاف التاريخي في هذه المسألة، إنما منشؤه الخلاف بين أحمد بن حنبل والفرق الأخرى كالجهمية والمعتزلة)(٨٦)

والذي ألجأ الأشاعرة إلى هذا القول، قاعدتهم التي قعّدوها في علم الكلام: أن الحوادث لا تحل بالرب سبحانه، فقالوا: فإذا أثبتنا أن الله يتكلم بما شاء متى شاء، نكون قد قلنا بقيام الحوادث بالذات العلية، وبسبب هذه القاعدة ردوا كل صفات الفعل المتعلقة

---

٨٣ - شرح جوهرة التوحيد ص ٥.
٨٤ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ص ١٤.
٨٥ - كبرى اليقينيات الكونية- د. محمد سعيد البوطي ص ١٠٤.
٨٦ - المصدر السابق ص ١٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بمشيئته سبحانه كالرضا والغضب والفرح والاستواء والنزول وغيرها.

وقد أسهب العلماء في بيان هذه القاعدة وزيفها. يقول شارح الطحاوية: (حلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب ولا في السنة، وفيه إجمال، فإن أريد بالنفي أن لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن- فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته- فهذا نفي باطل. وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي الحوادث ، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على أنه نفي عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم، وإنما أتى السني من تسليم هذا النفي، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه)([٨٧])

والحاصل أن الأشاعرة في باب الأسماء والصفات اضطرب مذهبهم اضطرابا شديدا بسبب ما اعتمدوه من قواعد كلامية وفلسفية، فنفوا عن الله على خلقه خوفا من إثبات الجهة والمكان والتحيز. واضطروا إلى مناقضة صريح المنقول والمعقول أيضا، من ذلك ما ذكره شارح السنوسية في معرض بيان المستحيلات على الله أن الله سبحانه يستحيل عليه: (عن يمين الجرم كالعرش مثلا، أو شماله أو فوقه أو تحته أو أمامه أو خلفه)([٨٨]) وقول شارح الجوهرة عن الله تعالى: (فليس فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله)([٨٩]). كما نفوا صفات الذات كاليدين والوجه والأصابع ونحوها خوفا من التبعيض والتركيب والتجزئة، ونفوا صفات الفعل خوفا من حلول الحوادث بذات الله كما تقدم، إلى غير ذلك من القواعد التي ألزموا بها أنفسهم، دون أن يدل عليها أي دليل من كتاب أو سنة، بل منشؤها عدم تقدير الله حق قدره، وقياس الخالق على المخلوق.

[٨٧] - شرح العقيدة الطحاوية- لابن ابي العز الحنفي ص ١٢٩.
[٨٨] - حاشية الدسوقي على أم البراهين للدسوقي ص ١٢٩.
[٨٩] - شرح جوهرة التوحيد ص ٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا: التوحيد

من بديهيات علم التوحيد أن العبادات حقّ خالصٌ الله، فلا يجوز صرف شيء منها لغير الله، وأن معنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله أنه: لا معبود بحق إلا الله، وما خصومة الأنبياء لأقوامهم إلا لأجلها. أما الاعتراف بأن الله هو الخالق والرزاق والمحيي والمميت فلم ينازع فيه جل المشركين، بل أثبت القرآن الكريم أنهم كانوا به مؤمنين، قال تعالى: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم"([٩٠])

إلا أن الخطاب الموجود في كتب العقيدة الأشعرية وغيرها من الكتب العقدية المعاصرة لا يقرر التوحيد على أنه إفراد الله بالعبادة، ولا يتعرض لهذا المعنى من قريب ولا من بعيد، بل تقرره على أنه الاعتقاد بوجوب واجب الوجود بدليل الحدوث والقدم، وأن معنى توحيد الله نفي التثنية والتبعيض والتركيب والتجزئة، وأن هذا هو أول واجب على العبد، وأن الإله معناه الخالق أو القادر على الاختراع، فمتى اعترف العبد بذلك كان موحدا، أما كون التوحيد يعني أن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يشرك به شيئا فلا ذكر له في كتب العقيدة مطلقا([٩١]).

---

[٩٠] - سورة الزخرف آية: ٩.

[٩١] - منهج الأشاعرة في العقيدة- سفر الحوالي- ص: ٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني: تاريخ التجديد في علم العقيدة

ما فتئ علماء أهل السنة والجماعة منذ أن بدأت الأهواء والبدع بالظهور أواخر عصر الصحابة – كالخوارج والرافضة والقدرية – يواجهونها ويحذرون منها ويتكلمون في تبديع أشخاصها ومناظرتهم وإقامة الحجة عليهم ثم بالتحذير منهم والنهي عن مجالستهم والاستماع إلى بدعهم.

وحين قويت الأهواء واشتد عودها، زادت عناية السلف بردها ومقومتها، وتنوعت أساليبهم، وتعددت مناهجهم، فأنشئوا المصنفات، وألفوا الكتب ورووا الآثار في الرد والبيان وحماية الدين،واتخذوا كل ما استطاعوا من الوسائل والأساليب الشرعية في ذلك.([٩٢])

فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين خرجت عليه أول فرقة في الإسلام- الخوارج- ناظرهم، وبعث إليهم ابن عباس، ليناظرهم ويكشف شبههم، فرجع أكثرهم عن موقفه، وقاتل عليّ من بقي منهم.([٩٣])

وأما الشيعة فحرّق عليّ رضي الله عنه غلاتهم الذين ادعوا تأليهه، وعاقب الذين فضلوه على الشيخين أبي بكر وعمر بالجلد، وأخذ يقول: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري)([٩٤])

وأما القدرية فقد تصدى لهم علماء السلف بالرد عليهم وبيان فساد قولهم، وأخبروا أنهم مجوس هذه الأمة، الذين أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ونهى عن عيادتهم، وعن الصلاة على جنائزهم.([٩٥])

وحين ظهر علم الكلام مطلع المائة من الهجرة على أيدي المعتزلة القدرية([٩٦]) انبرى أئمة الإسلام يحذرون المسلمين من خطورته على دينهم وتواترت النقول عنهم في ذلك.

قال عمر بن عبد العزيز: (السنة إنما سنها من علم ما جاء في خلافها من الزلل ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم)([٩٧])، وقال شريح القاضي: (إن السنة قد

---

٩٢ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع – ناصر عبد الكريم العقل ص ٩.
٩٤ - البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٩/٧-٢٨٢).
٩٥ - فتح الباري لابن حجر (٣٣/٧) والنبوات لابن تيمية ص ١٩٧ .
٩٦ - السنة لابن أبي عاصم (١٤٤/١-١٤٩) .
٩٧ - مفتاح السعادة- طاش كبرى زادة (١٤٨/٢).
- الإبانة لابن بطة العكبري ص ١٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبقت قياسكم، فاتبع ولا تبدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر)[٩٨] وقال البغوي: (واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه)[٩٩] ، وقال مالك بن أنس: (إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)[١٠٠]، وقال الإمام الشافعي: (لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك،خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء)[١٠١]. وقال أيضا: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام)[١٠٢]

ولم يكتف علماء أهل السنة بالتحذير من أهل الأهواء والبدع بل ناظروهم وأقاموا عليهم الحجة، وألفوا الكتب في الرد عليهم وتنفيذ شبههم وبيان بطلانها وزيفها ومن أشهر هذه الكتب:

- كتاب الإيمان- لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)
- الرد على الزنادقة والجهمية- لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ)
- الرد على الجهمية لمحمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة- لعبد الله بن مسل بن قتيبة (٢٧٦هـ)
- السنة- للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)
- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ)
- التوحيد – لبن خزيمة (٤١٨هـ)وغيره من الكتب كثير.

وتتميز هذه الكتب بتقريرها للعقيدة ومسائلها من خلال النصوص مباشرة، وهي تهدف إلى العودة بالأمة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح في

---

[٩٨] - شرح السنة للبغوي (٢١٦/١) .
[٩٩] - المصدر السابق (٢١٦/١) .
[١٠٠] - المصدر السابق (٢١٧/١) .
[١٠١] - المصدر السابق (٢١٧/١) .
[١٠٢] - المصدر السابق (٢١٧/١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهمها، واجتناب ما جدّ من الآراء المحدثة والمذاهب المنكرة(١٠٣)، وردها بالسنن والآثار لا بالفلسفة وعلم الكلام. يقول عبد الرحمن بن مهدي: (إنما يرد على أهل البدع بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصالحين، فأما من رد عليهم بالمعقول فقد رد باطلا بباطل)(١٠٤)، ويعلل الإمام أحمد ذلك بأنك: إذا رددت عليهم بعلم المعقول والجدل ألجاتهم إلى ردّ ما جئت به بالقياس والجدل فيكون سببا لرد الحق(١٠٥)

ويمكننا تلخيص منهج السلف في تقريرهم لأمور العقيدة، بالنقاط التالية:

- تحكيم الكتاب والسنة في كل قضية من قضايا العقيدة وعدم رد شيء منهما أو تأويله.
- الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية عامة وفي قضايا العقيدة خاصة.
- عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.
- عدم مجادلة أهل البدع أو مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم.(١٠٦)

بهذا المنهج القويم، وبتلك الجهود المباركة التي بذلها سلفنا الصالح، حافظت العقيد الإسلامية علي صفائها ونقائها، وتعرّت فرق الزيغ والضلال، واندثر أكثرها رغم ما تهيأ لها من إمكانيات مادية ومعنوية، وأصبحت في متاحف التاريخ بعد أن كانت هي صاحبة الصولة والجولة.

والمطلوب منا اليوم، السير على خطى سلفنا الصالح في تجديدنا لعلم العقيدة، ليكون قوة دافعة للمسلمين، لبلوغ أقصى درجات العزة والتمكين في الأرض، وذلك عبر تحديد مكمن التردي، وبيان أسباب الانحراف ثم تصحيح المسار وإعادة الأمور إلى

١٠٣ - تحقيق شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي- أحمد سعد حمدان (٥١/١).
١٠٤ - الانتصار لأصحاب الحديث- للسمعاني ص ١٠.
١٠٥ - صون المنطق والكلام للسيوطي ص ١٣١- ١٣٢.
١٠٦ - تحقيق شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي- أحمد سعد حمدان (٥٣/١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نصابها القويم.

وبتقديري أن هذا التجديد يحتاج إلى الخطوات التالية:

١- تخليص العقيدة من كل الإضافات البشرية التي ألصقت بها، وتنقيتها من آثار علم الكلام الذي حولها إلى جدل عقيم وفلسفات تثير الشكوك والوساوس بدلا من إزالتها.

٢- الابتعاد عن التلقين الصوري وسيلة للإقناع وتربية الإيمان. فقد أدي اتباع هذا الأسلوب في تلقين الأجيال العقيدة إلى ضعف بالغ في الإيمان، وتحول إلى إيمان صوري جامد بليد، ليس فيه حركة ولا تفاعل ولا عمل، وهذا الإيمان وجوده كعدمه، لأن علامة الإيمان العمل كما أن علامة وجود السراج النور.

٣- التركيز على الجوانب الإيجابية في العقيدة والمؤثرة في السلوك، ويندرج تحت هذه النقطة النقاط التالية:

أ- أن يعقد رباط وثيق بين الناحية العلمية النظرية في العقيدة، والناحية العلمية الواقعية، وذلك عبر إحياء المعاني القلبية من الحب والبغض، والخوف والرجاء، والرغبة والرهبة والخشوع، وبيان الصفات التي تشعر بأن الله تعالى في حالة قريبة من الإنسان بحيث يراه ويرعاه، وما يجب أن ينتج عن ذلك من يقظة الإيمان في القلوب وصدق اللجوء إلى الله والتوكل عليه والخوف منه لا من أحد سواه.

ب- الإكثار من ذكر نعم الله وآلائه التي لا تحصى، وأن الله سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، من أجل غاية واحدة، هي أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا.

ج- الإكثار من الحديث عن الحياة الآخرة، وأنها هي الحياة السعيدة لمن اتقى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعمل صالحا، وأن كل إنسان سيجد جزاء عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ثم ذكر الأدلة المقنعة على وجود هذه الحياة وأنها آتية لا محالة.

د- بيان أن القوانين التشريعية التي أنزلها الله صادرة من إرادة إلهية لتنظيم حياة الإنسان على أكمل وجه وأنها تضمن للإنسان الحياة السعيدة، والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

هـ- التركيز على ما في الإسلام من إعجاز علمي وتشريعي وتربوي، وبخاصة جوانب الإعجاز البديهي الذي لا يقبل والجدل، وذلك ليستطيع المسلمون الدفاع عن دينهم دفاعا قويا، وليشعروا بالاعتزاز بإيمانهم الكامل الراسخ بهذا الدين.

و- التركيز على وجوب الحكم بما أنزل الله في كل قضية من قضايا البشر، وأن المشرع للخلق هو الله وحده، وتربية المجتمعات الإسلامية على الولاء لشريعة الإسلام، والحذر من تنقصها، أو اعتقاد أفضلية غيرها أو مساواتها بها، أو جواز الحكم بغيرها.

ز- التركيز على ضرورة استقلال الأمة الإسلامية وتميزها واستعلائها بإيمانها وشريعتها، والتحذير من موالاة الكفار والتشبه بهم ومداهنتم على حساب الدين.

ح- التركيز على توحيد الله بجميع أنواع العبادة، وأن هذا هو التوحيد الذي تنعقد عليه النجاة يوم القيامة، والذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ولأجله كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم، وخاصة في البلاد التي جهل الناس فيها معنى الألوهية وصرفوا العبادة للشيوخ والأولياء وقدسوا الأضرحة والقبور، وعكفوا عليها راغبين راهبين.(١٠٧)

كل هذه الأمور أصبح طرقها والتركيز عليها ضرورة من ضرورات التجديد ولازم من لوازمه، وذلك لاتساع جوانب الانحراف فيها، وغياب الفهم الشرعي الصحيح لها.

١٠٧ - انظر معالم منهج التجديد في الفلسفة الإسلامية- مقداد يالجن ص ٢٧-٣٥ ، والتجديد في الإسلام ص ٤٤ ، ومعالم الهدى في فهم إلى الإسلام- مروان القيسي ص ١٢٥-١٢٧، والتجديد في الفكر الإسلامي – د. عدنان محمد أمامة ص ١٣٢-١٣٧ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث: الخطاب العقدي البديل

إنه ليس أكثر من عودة لأسلوب القرآن الكريم وطريقته في معالجة مسائل العقيدة والإيمان، ومع ذلك فهو ليس عودة إلى الوراء، كما قد يبدو، وليس هروبا من الواقع ومن العصر ولغته، وليس انفلاتا من الحاضر وانكفاء على الماضي، بل الالتزام بأسلوب القرآن في خطابه العقدي يستوعب الحياة بكل مستجداتها وألوانها وتحدياتها، يعطي لكل حالة حاجتها، ويعالج كل موقف بدوائه الناجع، كيف لا وهو كلام الله الخالق، العالم بخفايا الأمور، وما تكون عليه في قابل الأيام على تلونها وتجددها، وكتابه المعجزة الخالدة، والحجة الباقية؛ فمن أحسن من الله قيلا، ومن أحسن منه حديثا؟ وإليكم جملة من خصائص الاستدلال القرآني لنقف على قوته وجماله، وفائدته وثمرته، فمن ذلك:

أولاً: القرآن كل ما فيه معجز: فإيجازه معجز، وإطنابه معجز، وألفاظه معجزة، وأساليبه معجزة، ونظمه معجز، كل هذا معجز، وكذا استدلاله وجدله وبيانه، لا يصل إلى درجته نوع من الكلام... والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفرق بينه وبين القرآن هو كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأنه فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق(١٠٨).

فالاستدلال القرآني معجز إعجاز القرآن، بمعنى أنه يستمد إعجازه من إعجاز القرآن، والقرآن معجز في كل مواد الاستدلال من : بلاغة، وفصاحة، وأدلة، وبراهين وغير ذلك. ومحال أن يعارض أحد القرآن في استدلاله، فيأتي بما يناقض القرآن، أو يعارضه، أو يماثله في صدق المعنى وصحة العبارة، وجودة الأسلوب، وبلوغ الهدف والغاية.

القرآن أثار في العرب دافع التحدي، وباعث المواجهة وهو سجية فيهم، ثم إنه نزل بلغتهم، وتحداهم في أعلى ما يفاخرون به، وهذا غاية التحدي، وحفَّزهم على ذلك في أكثر من موضع، وتدرج معهم في التحدي . على سبيل التنزل . فتحداهم أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور منه، ثم بسورة منه ولو من قصاره، فما استطاعوا، ولن

(١٠٨) انظر: أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دار غريب للطباعة، ص ٣٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً[١٠٩].

فالقرآن واجه المشركين، وتصدى لهم، وناظرهم فيما يعتقدونه وقطعهم بالحجة البالغة والسلطان القاهر، فما استطاعوا له ردا، ولا عنه حولا. قال الزركشي في قصة الوليد بن المغيرة وإيفاد قريش له إلى النبي ﷺ بغية أن يقطعه ويكفّه عنهم، قال . رحمه الله تعالى .: إن الوليد بن المغيرة . لعنه الله . كان سيد قريش، وأحد فصحائهم، لما سمعه . أي القرآن . أُخرس لسانه، وبَلُد جنانُه، وأُطفئ بيانه، وقطعت حجته، وقصم ظهره، وظَهَرَ عَجزه، وذَهُلَ عقله[١١٠]،

حتى قال قوله المشهور وهو: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلى[١١١].

فللقرآن الكريم قوة تأثير عظيمة على النفوس حتى جعلت أهل الكفر والإلحاد يصفونه بالسحر وما هو بسحر، وجعلتهم يتناهون عن الاستماع إليه؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[١١٢]. ونطق بعض هؤلاء بالحق كُرْهاً مثلما كان من أمر الوليد وغيره.

وقال تعالى في شأن بعض النصارى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[١١٣].

إن بقاء حجة القرآن ودوامَها في صدقها وقوتها وحجيتها وشمولها، فحجته باقية ما

(١٠٩) انظر: الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م، ٢/١٠٨-١١٠.

(١١٠) انظر: الزركشي: البرهان، ٢/ ١١٠.

(١١١) انظر: الزركشي: البرهان، ٢/١١٠-١١١.

(١١٢) سورة فصلت، الآية (٢٦).

(١١٣) سورة المائدة، الآيتان (٨٢-٨٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بقيت السموات والأرض، وعامة لكل الناس على تباين أزمانهم، ومواقعهم، ومراتبهم في الفهم والإدراك، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[١١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[١١٥].

وقال ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[١١٦].

فلا يتصور أن أحداً - في أي وقت أو أي موقع - يجرؤ على معارضة حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصداقيتها، على ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها. أما حجة القرآن الكريم فتبقى قاطعة لكل حجة، لا يُغيِّر من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان.

ثانياً: ومن خصائص الاستدلال القرآني أنه يخاطب العقل والوجدان جميعا، فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا وعلى مستوى واحد، مما لا يوجد مثله عند أي إنسان عالما كان أو حكيما أو شاعرا أديبا، يستطيع أن يمسك بالأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية وجمال العبارة، ولو وجدا عنده فلا يعملان إلا مناوبة، كلما قويت واحدة اضمحلت الأخرى، وكاد أن ينمحي أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقصَ قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير، والعكس بالعكس[١١٧].

فمن نظر في كلام الناس من الفلاسفة والحكماء، وكلام الشعراء والأدباء لم يجد إلا غلوا في جانب وقصورا في الجانب الآخر. فالحكماء - مثلا - يقدمون لك ثمار عقولهم، وعصارة أفكارهم غذاء لعقلك من غير أن تتطلع نفوسهم إلى إشباع عاطفتك

(١١٤) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(١١٥) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(١١٦) البخاري: الصحيح "فتح الباري"، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، برقم ٤٩٨١، ٩/٣.

(١١٧) انظر: دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص ١٠٧-١١٠، والزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢/٢٠٩-٢١١، والرومي، فهد بن عبد الرحمن: خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ، ص ٣٥-٣٨، والألمعي، زاهر بن عواض: مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص ١٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإرواء وجدانك.

وأما الشعراء فيقصدون إلى استثارة وجدانك، وتهييج عاطفتك، ولا يبالون بما صوروه لك أن يكون غيا أو رشدا، أو حقيقة أو خيالا، وتراهم جادين وهم هازلون؛ يستبكون وإن كانوا لا يبكون، ويَطْرَبُون وإن كانوا لا يُطْرِبُون وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾(١١٨).

ولهذا لا تكاد تجد بشرا وفَّى بحق العقل إلا وبخس حق الوجدان، أو وفَّى بحق الوجدان إلا وبخس حق العاطفة. أما القرآن الكريم فقد جمع الله تعالى فيه بين القوتين: قوة الحجة العقلية البرهانية حتى إنه ليُقنع، أو ليقطع أرباب المعارف العقلية والفلسفية، وقوة المتعة الوجدانية والعاطفية حتى إنه ليُرضي ويشبع فحول الأدباء والشعراء، فهو كلام الله عز شأنه، لا يشغله شأن عن شأن، فهو القادر على مخاطبة العقل والقلب معا وبلسان واحد، وأن يمزج بين الحق والجمال.

انظر . مثلاً . إلى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١١٩).

وتأمل وتدبر كيف اجتمع في كلمات سبع عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة تصوير ما يعقب التنازع من الفساد الرهيب؛ مما لو ابتغى تقرير مثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إلا بعبارة طويلة وعرة جافة، كما هو واضح في دليل التمانع(١٢٠) الذي صوره المتكلمون، وجعلوا هذه الآية دليلاً عليه.

ثالثاً: ومن خصائص الاستدلال القرآني أن أدلته لها من القطعية في الثبوت مثلما للقرآن الكريم من ذلك، إذ نصوصه وردت بطريق التواتر الذي يفيد العلم اليقيني

(١١٨) سورة الشعراء، الآيات (٢٢٤-٢٢٧).

(١١٩) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

(١٢٠) دليل التمانع: أنه لو فرض وجود صانعين متكافئين في الصفات والأفعال، فعند اختلاف إرادتهما: كأن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تسكينه، فإما أن يحصل مراد كل واحد منهما وهو جمع بين النقيضين، وهو محال، وإما ألا يحصل مراد أي منهما، وهو رفع للنقيضين، وهو - أيضا - محال، مع نسبة العجز لكل واحد منهما، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر، فيكون هو الرب الحق، والآخر عاجزاً لا يصلح للربوبية، ونظام الكون ودقة صنعه يدل على أن خالقه ومدبره واحد لا شريك له وهو الله تعالى. انظر: الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر: التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، خدمه محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ص ٤٦، والمؤلف أيضاً: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ط٢/ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ص ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاضطراري؛ فلا شك ولا ظن في ثبوت أدلته كما لاشك ولا ظن في ثبوت نصوصه، هذا من جهة الورود، وكذلك من جهة المعاني والدلالات فالاستدلال قطعي؛ لأن المراد به تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة الأدلة والبراهين على قضايا الاعتقاد، والرد على الخصوم، وهذا من أعظم ما جاء القرآن لتقريره، فلا بد أن يكون في وضوح معانيه، وقوة دلالته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين، وقطعا للمعاندين، وحجة على الخلق أجمعين. فلا تناقض بين أدلته وبراهينه كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾(١٢١).

ولا ضعف في قوة حجة القرآن ووضوح محجته كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(١٢٢). فلا أحد في قديم الزمن ولا في حديثه يُعرف أنه أقام دليلا صحيحا وحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل على عجزهم وانقطاعهم، وذلك حين وصفوا القرآن بالسحر والشعر وهم أول من يعرف براءته من ذلك؛ كما كان من أمر الوليد بن المغيرة وغيره.

بل هؤلاء الذين أخبر القرآن أنهم صالوا النار . كأبي لهب والوليد . لم يجرؤ أحدهم على تكذيب القرآن بإبطال حجته، وإظهار تناقضه . مع حرصهم على معارضته . فيعلن إسلامه، ولو على سبيل المعارضة، فلله الحجة البالغة أبداً.

ولهذا وغيره قال أبو عبد الله الرازي . مع خبرته في الكلام . في آخر عمره: " لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾(١٢٣)، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾(١٢٤)، وأقرأ في النفي:

(١٢١) سورة النساء، الآية (٨٢).
(١٢٢) سورة فصلت، الآيتان (٤١-٤٢).
(١٢٣) سورة طه، الآية (٥).
(١٢٤) سورة فاطر، الآية (١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١٣١).

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف والتنازع فيها كوجوب الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، وإلحاق الشيء بنظيره، وإعطاء الفرع حكم أصله، ونحو ذلك. ولهذا ذم الله تعالى الذين يجادلون في الله بغير حجة: لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق. فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾(١٣٢).

ونجد آيات كثيرة فيها المطالبة بالتزام ما يقتضيه العقل، والإذعان إلى حكمه. وهو موافق لا محالة لحكم الشرع. فمن ذلك قوله تعالى مخاطبا أهل الكتاب: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(١٣٣)، ويقول لهم في شأن انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(١٣٤).

وسفَّه الخليل عليه السلام مَنْ عَبَدَ من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره، وطالبه أن يُحكِّم عقله، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا

(١٣١) سورة يونس، الآية (١٠١).
(١٣٢) سورة الحج، الآية (٨).
(١٣٣) سورة البقرة، الآية (٤٤).
(١٣٤) سورة آل عمران، الآيات (٦٥-٦٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

(١٣٥).

واشتمال الاستدلال القرآني على القوانين العقلية الصريحة يجعله حجة على كل الناس، لاسيما الذين غلبت عليهم النزعات العقلية والفلسفية، أو الذين لهم مذاهب دينية سابقة يتعصبون لها، ولا ينقلبون عنها إلا ببراهين جديدة تولد عندهم علوما جديدة، وهذا ما يضمنه الاستدلال القرآني لهؤلاء الأصناف من البشر، إذا تخلوا عن التعصب والعناد.

سادساً: تميّز الاستدلال القرآني عن الاستدلال اليوناني والكلامي، وذلك من وجوه كثيرة، أهمها:

١- القرآن نزل لهداية الناس كافة، وما فيه من الاستدلال والجدل إنما هو لمخاطبة الناس جميعا، وعلى مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية، بعكس طريقة المناطقة والمتكلمين في الجدل والاستدلال فلا يفهمها إلا طائفة خاصة من الناس؛ وذلك لما فيها من الغموض، والإلغاز في الاستدلال، والتطويل في العبارات(١٣٦).

٢- القرآن الكريم لم يلتزم طريقة المناطقة والمتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج من الاستدلال بالكلي على الجزئي في قياس الشمول(١٣٧)، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل(١٣٨)، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء(١٣٩)، وذلك(١٤٠):

أ- لأن القرآن جاء بلسان العرب، وطريقتهم في التخاطب، فطريقته تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير، ووضوح التعبير، وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة

---

(١٣٥) سورة الأنبياء، الآيتان (٦٦-٦٧).

(١٣٦) انظر: شبغون، محمود: من أسرار البلاغة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ١٤٠٤هـ ص ٢٢٣.

(١٣٧) قياس الشمول: اشتراك الأفراد في حكم عام وشموله لها. انظر: ابن تيمية: الرد على المنطقيين، ص ٣٦٤.

(١٣٨) قياس التمثيل: إثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما، ويسمى المحكوم عليه فرعاً، والشيء المنقول منه الحكم أصلاً، أو مثالاً، والعلة المشتركة بينهما جامعة. وهو قياس الأصوليين، ويسمى الشرعي. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، ٥/١١٩٣-١١٩٤، والمعجم اللفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ٥٥.

(١٣٩) الاستقراء: هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في جزئياته أو أفراده، إما كلها وهو الاستقراء التام، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور، معتمداً على مبدأ الحتمية، كقولنا: لكل طائر جناحان. انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٢، وصليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١/٧١-٧٢.

(١٤٠) انظر: القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط٨/، ١٤٠١هـ ص ٢٩٩-٣٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية، وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة(١٤١).

ب- ولأن الاعتماد في الاستدلال على ما فُطِرَت عليه النفس من الإيمان بما تشاهده وتحس به دون عمل فكري معقد أقوى أثرا وأبلغ حجة.

ج- ولأن ترك الجلي من الكلام والالتجاء إلى الدقيق الخفي نوع من الغموض والإلغاز لا يفهمه إلا الخاصة، وينافي قصد الشارع من هداية الناس وبيان الحق لهم. يقول الزركشي . رحمه الله تعالى .:"اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾(١٤٢).

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجَّة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخطَّ إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن مُلْغِزا، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلِّ صورة تشتمل على أدق دقيق، لتفهم العامة من جليلها ما يُقنعهم ويُلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء ..."(١٤٣).

٣- الاستدلال القرآني يدل على الحقائق في ذاتها، فبراهين القرآن وحججه دالة على الأمور المعيَّنة، كأسماء الله وصفاته، والملائكة، والرسل، والكتب، والعرش، والكرسي، والجنة والنار، وما وقع للأنبياء مع أقوامهم من قصص وأحداث معيَّنة، وكذلك ما أخبر به الله تعالى ورسوله من الأمور المستقبلية وغير ذلك، كلها أمور معينة ليست

(١٤١) انظر: الألمعي: منهاج الجدل، ص ٤١٦-٤١٧.

(١٤٢) سورة إبراهيم، الآية (٤).

(١٤٣) الزركشي: البرهان، ص ٢٤. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، ١/٤٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من نوع القضايا الكلية التي لا تكون إلا في الذهن، ولا تمنع من وقوع الشركة فيها، كما هو حال كلام المناطقة وجدلهم، فأقيستهم التي هي عندهم برهانية لا تفيد إلا أمورا كلية، لا تدل على شيء معين(١٤٤).

فطريقة القرآن الكريم في الاستدلال وتوجيه العقول والمشاعر لإدراك أعمق الحقائق أيسر وأشمل وأقوم... فعلى الناظرين في القرآن الكريم والداعين إلى نشر قضاياه ومبادئه أن يعملوا على إشاعة الأسلوب القرآني، وتقريبه بما يرفع الحجب الاصطلاحية عن وجهه الجميل، حتى لا تغرق معانيه في خضم الاصطلاحات المنطقية والفلسفية(١٤٥).

إننا بحاجة ماسة إلى تغيير لغة الخطاب العقدي في عصرنا، سواء لأجل مخاطبة المسلمين أو غيرهم، ولنضع في تقديرنا عدة أمور من أهمها وأبرزها:

١- اعتماد لغة القرآن وأسلوبه ومنهجيته في تأسيس الإيمان وفي مخاطبة العقل والوجدان على حد سواء، وتلبية حاجتهما من الإشباع، وقد مر بيان ذلك.

٢- تناول بعض قضايا العقيدة بشكل آخر، ولعله يكون الأقرب لمنهج القرآن، ولتحقيق مقاصده، فمثلا: مسألة الأسماء والصفات والتي كانت الشغل الشاغل لأهل الكلام ومَنْ جادلهم، حيث شغلت حيزا كبيرا من المؤلفات والجهود والأوقات . وقد يكون لهذا مبرر في وقته . وأضفت عليها المباحث الجدلية حجابا كثيفا غيَّب منها المعاني الجميلة التي كانت تشع بها في السياق القرآني وفي نفوس الرعيل الأول من الصحابة وخيار الأمة.

فالمقصود من الأسماء والصفات وضع تصور صحيح عن الذات الإلهية، وتصحيح التصورات الفاسدة الموجودة لدى المشركين وأصحاب الديانات المنحرفة، أو التي قد توحي بها السذاجة العفوية لدي بعض الناس أحيانا، وهذا التصور الصحيح ينبغي أن يحمل صاحبه على معرفة الله المعرفة الصحيحة، معرفة لها حياتها وحيويتها وحرارتها وحركتها، حيث تولّد في نفس المؤمن عظمة الله، ومحبته، وخشيته، والإنابة

(١٤٤) الفكر الإسلامي مناهج الجدل، ص ٤١٥-٤١٦.

(١٤٥) عرجون، محمد صفوت: القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في الفكر المعاصرين، مكتبة الثقافة الإسلامية، مصر، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ص ٢٨٢-٢٨٤ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليه، والتوكل عليه، فالله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ولا تخفى عليه خافية، وهو العدل، الحكم، الغفور الرحيم، شديد الحساب، وشديد العذاب، لا يظلم أحدا، فإذا رسخت هذه المعرفة في نفس الإنسان حملته على عبادة الله، لأنه أحق بذلك من غيره، وهكذا عُرضت الصفات الإلهية في القرآن الكريم؛ فمثلا: حينما قال أحدهم للرسول ﷺ: يا محمد، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾(١٤٦).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(١٤٧)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾(١٤٨).

فلا ينبغي فصل الأسماء والصفات عن السياق الذي وردت فيه، ولا يسوغ عرضها في السياق الجدلي الكلامي الذي عولجت من خلاله شبهات الطوائف المنحرفة في باب الصفات الإلهية، فإن هذا يعطلها عن دورها الفاعل في تربية النفوس، وتهذيب الطباع، وتحقيق مراقبة الله وتعظيمه، والحث على طاعته والتزام شرعه سراً وجهراً، ورغباً ورهباً.

٣- العمل على إعادة عقيدة السمعيات إلى موقعها الطبيعي لتقوم بدورها في تربية الأمة، وزرع محبة الله ومحبة لقائه، والشوق لما أعده لأهل طاعته في جنات النعيم،

(١٤٦) سورة البقرة، الآية (١٨٦). وانظر: الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر: جامع البيان في تاويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ٤٨٠/٣.

(١٤٧) سورة النحل، الآية (٥٠).

(١٤٨) سورة المجادلة، الآية (٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وزرع الخوف منه تعالى ومن عقابه، فقد خلت كتب العقيدة من التعرض لهذه القضايا إلا في سياق مجادلة المنكرين للبعث والرد على شبهاتهم، أما غير ذلك فلا يكاد يوجد منه شيء يستحق الذكر، مع أن قضايا السمعيات من: البرزخ والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأصناف عذابها أمر بارز في القرآن الكريم، متضمَّن في غالب سور القرآن، حتى إن الله تعالى يخوف به الكافرين فضلا عن المؤمنين قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾(١٤٩).

وروي أن كعب الأحبار أسلم بسبب قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾(١٥٠)، حيث سمع قارئا يتلوها، فوضع كعب كفيه على وجهه، ورجع القهقرى إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت ألا أبلغ بيتي حتى يُطمس وجهي(١٥١).

٤- تجنب عرض العقيدة من خلال الرد على الخصوم القدامى ودفع شبهاتهم، بل لا

(١٤٩) سورة المدثر، الآيات (١١-٣٠).
(١٥٠) سورة النساء، الآية (٤٧).
(١٥١) انظر: ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، أبو عبد الله: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله الأنصاري و"آخرين"، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ٩٢/٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بد من بعث الفطرة الصحيحة الموجودة في نفوس بني آدم، وإزالة الركام عنها، ومعالجتها وتزكيتها بالأدوية الإلهية، وتهيئتها لمعرفة الحق وقبوله والإذعان له، ثم تعرض العقيدة عرضا تقريريا وتأسيسيا ابتداء، ثم من خلال الرد على الخصوم المعاصرين، والتحديات المعاصرة، وتجنب اجترار التحديات القديمة لا سيما التي لا وجود لها على الساحة، أو لا تقع في قائمة الأولويات.

٥- التركيز على الآثار العملية للإيمان وأركانه الستة، وبيان ثمار ذلك في الحياة الدنيا، سواء أكانت ثمارا مادية من توفير الأمن في الأوطان، والسعة في الأرزاق، والصحة في الأبدان، والقوة بمعانيها المتنوعة ونحو ذلك، أو ثمارا معنوية كالصحة النفسية، والطمأنينة القلبية، والسعادة الروحية ونحو ذلك مما تفتقده المجتمعات الإلحادية أو المادية. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١٥٢)، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(١٥٣)، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(١٥٤)، وقال: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾(١٥٥).

٦- مراعاة العصر الذي نعيش فيه، واهتمامات أفراده، والقضايا الساخنة المطروحة في الساحة، ولهذا قيل: لو كان ابن تيمية حيا لجعل في مقدمة اهتماماته مواجهة مثل الشيوعية والرأسمالية والقومية والعلمانية والحداثة والعولمة ونحو ذلك من قضايا العصر، وهو ما يسمى بواجب الوقت، أو كما يسميه العلامة القرضاوي بفقه

(١٥٢) سورة الأعراف، الآية (٩٦).
(١٥٣) سورة الأنعام، الآية (٨٢).
(١٥٤) سورة الرعد، الآية (٢٨).
(١٥٥) سورة آل عمران، الآية (١٣٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأولويات، ، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(١٥٦).

٧- أن نتحكم نحن في إدارة الصراع الفكري والعقدي دون أن نُجر أو ننجر للدخول في قضايا لا تخدم أهدافنا الأساسية، ولا تتماشى مع خطتنا المنهجية.

٨- مراعاة لغة العصر الذي نعيشه، فعصرنا كما يقال عصر العلم، ومنه علوم الفضاء وسائر العلوم التطبيقية على مختلف ألوانها وأبعادها، وهو عصر غلبت عليه النزعة الإنسانية، وقيم المذاهب الوضعية كالنفعية والذرائعية ونحو ذلك، فينبغي أن نراعي ذلك في خطابنا العقدي، وإلا أصحبت الهوة واسعة بيننا وبين قومنا، وبيننا وبين الناس أجمعين.

٩- مع الحرص والحذر في استخدام المصطلحات المعاصرة أثناء تحميلها المعاني الشرعية حتى لا نقع فيما وقع فيه أهل الكلام من قبلُ مجاراة للفلاسفة حين استعملوا ألفاظا في شرح المعاني الشرعية تحتمل حقا وباطلا، أو على أقل تقدير تؤدي إلى الإيهام والإجمال ونحو ذلك.

١٠- معالجة قضية الإيمان من خلال قضايا مجتمعاتنا على مختلف مستوياتها وأنواعها، فهكذا كانت دعوات الرسل، والحذر من التغافل عن القضايا الملحة، والتحليق بالناس فيما لا يعنيهم من مشاكل اجتماعية لا يعيشونها ولا يعانونها، أو تضييع الأزمان وإتعاب الأذهان في معالجة افتراضيات لا وجود لها في الساحة.

١١- الاستفادة من علوم العصر لا سيما القطعية منها في ترسيخ قضايا الإيمان في النفوس والبرهنة على عدم التعارض بين كلمات الله الشرعية وكلماته الكونية، وفي هذا الصدد ندعو إلى التوسع في بيان الإعجاز القرآني في مجالات العلم التجريبي والظواهر الكونية والنفسية، وفي مجالات العلوم الاجتماعية ونحو ذلك من اهتمامات العصر، فالمعجزة تكون عادة فيما برع فيه القوم، وأقوامنا برعوا فيما تقدم ذكره، والقرآن لا تنقضي عجائبه.

(١٥٦) سورة التوبة، الآية (١٢٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢- الربط بين الفساد الكوني والفساد الأخلاقي، لأن الكون فطر على الحق والعدل، وكذلك ينبغي على الإنسان أن يكون، حتى يعيش مع الكون في أمن وسلام وتناغم، وإلا وقع الفساد والخراب في الكون بقدر ما يقع من الإنسان من فساد في سلوكه؛ سواء الاعتقادي أو العملي، وقد قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(١٥٧)، ويقول تعالى:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(١٥٨).

ولهذا يكون الفساد الكوني العام أو الهائل، وهو ما يعبر عنه بأشراط الساعة الكبرى، حين يعم الفساد الأخلاقي الأرض ولا يبقى للصلاح فيها مجال، يقول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله"(١٥٩).

١٣- ربط قضايا السلوك بالمعتقد، على أنها أثر من آثار الإيمان الصحيح، وقد تكون من لوازمه ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾(١٦٠)، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾(١٦١).

فإغفال جانب التأسيس العقدي لكثير من الأمور العملية السلوكية كان سببا في هذا الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون، المتمثل في إقصاء شريعة الرب تعالى عن كثير

(١٥٧) سورة الروم، الآية (٤١).

(١٥٨) سورة طه، الآيتان (١٢٣-١٢٤).

(١٥٩) مسلم، ابن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، برقم ٢٣٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ١/١٣١.

(١٦٠) سورة الأعراف، الآية (٥٨).

(١٦١) سورة إبراهيم، الآيتان (٢٤-٢٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، حتى صار لديهم استعداد نفسي لتقبل الفلسفة العلمانية.

١٤- إبراز قصور وضعف بل وبطلان الخطاب الديني المعاصر لدى اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الديانات الوضعية، والتركيز على فضح أساليب الصهيونية، وحركات التنصير والاستشراق، ونحو ذلك من المنظمات ذات البعد الديني.

١٥- التصدي للتيارات والمذاهب الوضعية المعاصرة وبيان عوارها، وكشف أساليبها، كل ذلك من خلال كتب العقائد.

١٦- بيان عجز المذاهب الإنسانية عن استيعاب الحياة البشرية وتلبية حاجاتها على اختلاف ألوانها وتحولاتها، والتأكيد على حاجة البشرية سابقا ولاحقا إلى الوحي الإلهي.

١٧- وأخيراً . أقترح أن يُضم إلى مقرر العقيدة في الجامعات والمعاهد ما يتعلق بالتحديات المعاصرة، لكي تعالج من خلال كتب العقيدة، وبلغة العصر الذي نعيشه، والتي تناسب أجيالنا، كما أقترح إخراج كثير من الموضوعات من مقرر العقيدة وضمها إلى مقرر الفرق، أو مقارنة الأديان والمذاهب أو نحو ذلك من العلوم الشرعية المتخصصة.

وبهذا نكون قد حققنا عدة أهداف، منها:

الأول: أن يجتمع في مادة العقيدة جانبان، الأول: التأسيس والإقناع، والثاني: التحصين والدفاع، وبأسلوب معاصر.

الثاني: مواكبة علم العقيدة لقضايا العصر وتحدياته.

الثالث: معالجة هذه التحديات بأسلوب العصر ولغته.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع

القرآن الكريم ، تنزيل من رب العالمين

[١] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض . السعودية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.

[٢] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: الرد على المنطقيين، بيروت . لبنان، دار المعرفة.

[٣] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: مجموع فتاوى ابن تيمية، المغرب، مكتبة المعارف.

[٤] ابن عبد البر، يوسف أبو عمر: جامع بيان العلم وفضله، بيروت . لبنان، دار الفكر .

[٥] ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، أبو عبد الله: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرين، الدوحة . قطر، مؤسسة دار العلوم، ط١، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.

[٦] ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي الدخيل الله، الرياض . السعودية، دار العاصمة، ط١ ١٤٠٨هـ.

[٧] ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد: الاختلاف في اللفظ، مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ.

[٨] ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد: تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت . لبنان، دار الجيل ١٤٩٣هـ. ١٩٧٣م.

[٩] أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرى القاهرة . مصر، دار الفكر العربي، دار غريب للطباعة.

[١٠] الأشعري، علي بن إسماعيل أبو الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: هلمون ريتر . دار النشر فرانز شتانير، فيسبادن، ط/٣، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ Cam$canner

[١١] **الأصبهاني، إسماعيل بن محمد أبو القاسم:** الحُجَّة في بيان المحجة، تحقيق: محمد ربيع بن هادي المدخلي الرياض . السعودية، دار الراية، ط١ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

[١٢] **الألمعي، زاهر بن عواض:** مناهج الجدل في القرآن الكريم، الرياض . السعودية، مطابع الفرزدق التجارية.

[١٣] **الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر:** الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ط٢، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

[١٤] **التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة، والخوارج والمعتزلة،** خدمة: محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة . مصر، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.

[١٥] **البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله:** صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، خدمة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، القاهرة . مصر، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٠هـ.

[١٦] **البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر:** السنن الكبرى حيدر آباد . الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١ ١٣٥٥هـ.

[١٧] **الجامي، ملا عبد الرحمن:** الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء، بذيل كتاب أساس التقديس لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، مصر، مطبعة كردستان العلمية، ١٣٢٨هـ.

[١٨] **الجرجاني، علي بن محمد، أبو الحسين:** التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

[١٩] **دراز، محمد عبد الله:** النبأ العظيم، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

[٢٠] **الرومي، فهد بن عبد الرحمن:** خصائص القرآن الكريم، الرياض . السعودية، مكتبة الحرمين، ط٢، ١٤٠٩هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[٢١] **الزرقاني، محمد عبد العظيم:** مناهل العرفان، بيروت . لبنان، دار إحياء التراث العربي.

[٢٢] **الزركشي، محمد بن عبد الله:** البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، ١٣٩١هـ . ١٩٧٢م.

[٢٣] **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن:** معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت . لبنان، دار الثقافة العربية للطباعة، ١٩٦٩م.

[٢٤] **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح:** الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت . لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م.

[٢٥] **شيخون، محمود:** من أسرار البلاغة القاهرة . مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ.

[٢٦] **صليبا، جميل:** المعجم الفلسفي، بيروت . لبنان، دار الفكر اللبناني، ط/١.

[٢٧] **الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر:** جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف.

[٢٨] **عرجون، محمد صادق:** القرآن العظيم؛ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٦هـ . ١٩٦٦م.

[٢٩] **العطّار، حسن:** حاشية العطّار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للسبكي، مصر، المطبعة العلمية، ط١، ١٣١٦هـ.

[٣٠] **الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد:** إحياء علوم الدين، بيروت . لبنان، دار المعرفة.

[٣١] **غلاب، محمد:** المعرفة عند مفكري المسلمين، مراجعة: محمود العقاد وزكي نجيب محمود، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

[٣٢] **قاسم، محمود:** مقدمة كتاب مناهج الأدلة لابن رشد، مصر، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[٣٣] القطان، مناع خليل: مباحث في علوم القرآن، الرياض . السعودية، مكتبة المعارف، ط٨ ١٤٠١هـ.

[٣٤] الكلاباذي، محمد أبو بكر: التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة . مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٠هـ . ١٩٦٠م.

[٣٥] اللالكائي، هبة الله بن الحسن أبو القاسم: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم تحقيق: أحمد سعد حمدان، الرياض . السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع.

[٣٦] مسلم، ابن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٧٥هـ . ١٩٥٥م.

[٣٧] الملطي، محمد بن أحمد أبو الحسين: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم: محمد زاهد الكوثري بغداد . العراق، ، مكتبة المثنى، ١٣٨٨هـ .١٩٦٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Renewal speech lumpy in the modern era

Abstract

This Study aims at innovating religious discourse in the modern era to suit the developments of this era ,and if some people talk about the innovating of religious speech generally; the Islamic doctrine is inneedof this innovating , It is meant by this innovating within reference to the speech doctrine to its previous status a truecontent , a fully understanding , and a conscious commitments, and breaching so as the Islamic nation to be closely to Allahand more idealistic to follow the first generation and therefore , this belief has been and still tolerating as an intention for enemies distortion and was attacked and overcame from its crucial and leading rule in the Islamic nation.

This religion has been misinterpreted by some Sophist Scholars and religious men, who deformed its conceptions believing that they were guarding Islam. However, we are in bad need of renovating the Islamic religious discourse in addressing Muslims to strengthen their belief and faith in refuting their enemies doubts against Islam.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner